الفلسفة فى الحضارة المصرية القديمة

ألهم الله (سبحانه وتعالى) الحكمة من ليسوا بأنبياء كلقمان الحكيم المصرى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [سورة لقمان: آية ١٢]، ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٩].

وهذه مقدمة تتناسب مع عبقرية علماء مصر القديمة [٢١] هؤلاء الحكماء الذين ورثوا حكمة الأنبياء ونبذوا الشرك والوثنيات لتشهد تلك السلسلة من الحكماء أن توحيد الخالق هو أساس الحكمة أو ما يُعرف بالفلسفة.

عاش الحكيم المصرى والمعلم الأكبر (تُحوت Thoth) منذ ٥٠٠٠ سنة على أقل تقدير، وقيل إن الله (سبحانه وتعالى) ألهمه العلوم ومبادئ الدين، وفى المأثور أنه قد كشف للخاصة من علماء المصريين علوم الهندسة، الفلك، العمارة، الطب، وعُزِىَ إليه اختراع الكتابة الهيروغليفية (Hieroglyph) كأشكال تصويرية رمزية تصور نقوش المعابد والمقابر كطائر يُحَلِّق عاليا ليطالع حكمة الرب المبثوثة فى الأرجاء ويهبط بالمعرفة، وليست حكمة الحكماء سوى استبصار لحكمة الرب.

وافتُتِنَ الإغريق بحكمة المصريين وتمثلوا (تُحوت Thoth) المُرْسَل بالحكمة بمعبودهم (هرمس – Hermes)؛ حيث كانت حكمته تصف الله (سبحانه وتعالى) بثلاث صفات أساسية جامعة: إنه أزلى وسواه عارض فهو إذا الخالق الحى القيوم القادر يُدَبِّر شئون خلقه، حكيم فى كل تدبيره عليم بكل الجوانب أى فريد الصفات واحد أَحَدٌ لا مَثِيلَ لَهُ مُنَزَّه تعالى عن صفات المخلوقين.

أسند الإغريق إلى الحكيم المصرى القديم (تُحوت Thoth) والذى أسموه هرمس كل التعاليم والأعمال، والأرجح أنها ثمرة معارف ومهارات أجيال من الكهنة المُعلمين ولشهرته نسبوها جميعا إليه، ومتون هرمس تُسمَّى (بالهرمسيات Corpus Hermeticum) وقد كُتِبَت بالهيروغليفية التى اندثرت حوالى القرن الرابع قبل الميلاد ولم تُعرف مُجَدَّدا إلا بعد اكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩م.

جَمَع المُتون كهنة الإسكندرية زمن مجد الإغريق وصاغوها باليونانية بأسلوب عصرهم

وتُرجمت مؤخرا إلى الإنجليزية ومنها إلى العربية، وهى دليل تاريخى على أن التوحِيد أصل الديانة ونهج الحكماء منذ القدم.

من مواعظ هرمس التى تدل على الإيمان بوحدانية الله وقدرته: «تأمل لِلَحظَة كيف تَأَتَّى لك أن تُخلق فى الرحم، فَكِّر فى صُنع القادر وابحث عن الصَّانع الذى أبدع جمال صور الخلق، فمن ذا الذى أدار حدقة عينيك ومن ذا الذى فتح أنفك وفمك وأذنيك، ومن ذا الذى مد أربطتك وربطها ببعضها، ومن ذا الذى أنشأ عظامك وكسى لحمك بالجلد ومن ذا الذى سوى أصابعك وبسط قدميك، ومن ذا الذى شَكَّلَ قلبك وَجَوَّفَ رئتيك ومن ذا الذى جعل جمالك ظاهرا وأخفى قبح أمعاءَك، كم من الصَّنائع صُنِعَت وكم من الأعمال أُبْدِعَت لتجسيد المخلوق الإنسانى فلا التماثيل ولا التصاوير تَحْدُث من تلقاء ذاتها.. دون عمل ناحت أو راسم أفلا يكون لهذا العمل المُتَعَالِى من خَالِق!».

وبتعدد اللغات والصفات تعددت أسماء الإله الخالق وهو يُدعَى بالهيروغليفية (آتوم Atum) ومعناه الكامل أو التام أى مُطلق القدرة.

نسبَ الإغريق لهرمس تشييد الهرم الأكبر وهو ما يوافق لحكمته فى معرفة الله معرفة أسلوب قدماء المصريين فى التعبير بالرموز المُجَسِّدَة للدلالات المعنوية، ولا يستبعد أن يكون التصميم الثلاثى للأهرامات الثلاثة وكذلك توائمها الصنوان الثلاثة ليتجه كل جانب منها لإحدى الجهات الأربع تماما بهيئة مثلث يجعلها تحفة معمارية قائمة على معرفة فلكية ورمزا لديانة التوحيد.

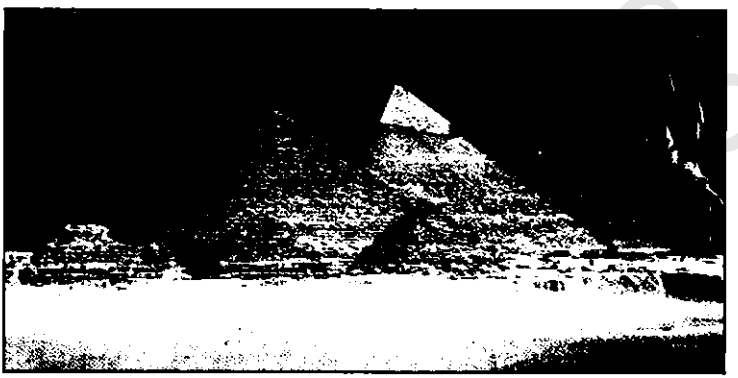

فتعبير هرمس عن صفات الله تعالى الجامعة الثلاث يتفق مع جوانب الأهرامات ذات الأضلاع الثلاثة، وتَوَحُّد قممها فى نقطة وحيدة شامخة تتجه نحو السماء يرمز لعليائه ووحدانيته، واتجاهها لأركان العالم يُشِير إلى شهادة كل الوجود بالصفات العَلِيَّة للخالق المعبود، ويُدَعِّم هذا الافتراض أَنَّ المثلث عند الأمم القديمة وأسلاف اليهود الفارين من مصر بكنوزها المعرفية وحكمتها يَرمُز لربوبية الإله الخالق.

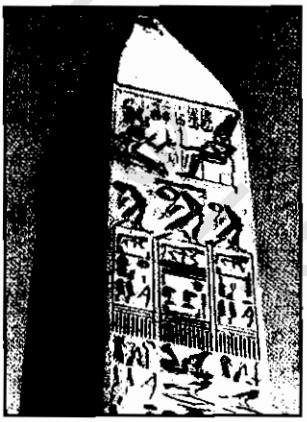

ولَعَلَّ تسابق ملوك مصر لتَمجِيد الإله العظيم واهب نِيلَهَا وثَرَاءَهَا بهياكل مثلثة الجوانب وفق حكمة كهنتها فى بناء الأهرامات ونحت المسلات الممتدة فى السماء أمام المعابد كإصبع واحد مرفوع فى صلاة تعبيرا بالرمز عن التوحيد وكذلك أهرامات مثلثة الجوانب يرجع إلى حكمة موروثة تركت بصمات مبدأ التوحيد فى صحراء شمال السودان بهيئة أهرامات مثلثة الجوانب لكنها مُتَوَاضِعَة تربو أعدادها على (٢٤٠) هرما أى أكثر من ضِعف عدد كل أهرام مصر (٩٧ هرما) ، فيقف أكثر من ٩٨ هرما على طول الشريط النيلى بالولاية الشمالية للسودان، وفى منطقة البجرواية يقف (١٤٠) هرما يعود تاريخها إلى العهد المَرَوِى (٩٠٠ ق. م. ٣٥م) ، ويرى باحثون أن تاريخ الصروح الهرمية والمعابد يمتد منذ بواكير الحضارة الإنسانية إلى حوالى ألفى عام قبل الميلاد طبقا للكتابات الهيروغليفية المنقوشة على جدرانها فى مناطق كانت تُمَثِّل عُمق دُويلات النُّوبَة ومملكة كوش فى الزمان القديم.

وبمبدأ التوحيد آمنت مصر القديمة ببعث الأجساد للحساب وهنا كان ميزان العدل الذى يوزن به القلب واقتضى ذلك حفظ أجساد الموتى؛ فكان علم وفن التحنيط (Mummification) ، والأرواح فى مُعتقد القُدَامَى كَيَانَات شَفَّافَة غير مَادِّيَّة لا تُرى ولكل جسم مَادِّى روحه المتصلة به ولكل كلمة منطوقة كيانها الروحى الذى يَستَدعِى ما تُعَبِّر عنه فيحضر الثعبان بتلفظ اسمه، ويفيض النيل بمناداته وتقديسه، ويستجيب الإله المزعوم المُجَسَّد بهيئة صنم مَنحُوت بالدعاء والقرابين فكانت الوثنيات وعبادة الأصنام.

عند التَّحَرِّى يَتَّضِح أن الدَّخِيل قد طمس مبدأ التوحيد أصل دعوة كل الأنبياء والحكماء

أو كاد أو حَرَفَهُ بالعمد أوسوء التأويل وسهو النسخ وغموض الترجمة المُشَوَّشَة والمُشَوَّهَة وهنا كان تَأليه العُظماء وتَأَلُّه الملوك أو الانتساب للإله.

ولم تكن أسـرة (أوزوريس Osiris) وزوجته (إيزيـس Isis) وابنهما (حورس Horus) وأختها (نفتيس Nephthys) سوى أسرة ملك محبوب اغتاله أخ له مفرط الطموح طامع فى السلطة، فحُكِيَت عنهم الأساطير وضَمَّهم خيال الكهنة إلى قائمَة الآلهة الخالدين.

حُجِبَ فى الترجمة العربية لمتون هرمس نَصٌّ لاَحِق ذو مغزًى لافت فى تاريخ مسـيرة التوحيد يُحتسـب من البشَـارَات بِمَقْدِم عهد جديد يتخطى حدود مصر ويَسُـود كل العالم يَتَجَدَّد فيه الإيمان ويَتَجَلَّى فيه التوحيد.

وتعاليـم هرمس (تُحـوت) خلاصة لتأملات حكيمة لمسـت الحقيقـة وأدركت جوهر الموجودات فنطقت بوحدانية الله وورد أنه النبى إدريس (عليه السلام).

وتوجد مسلة فى برلين كانت بممفيس وترجع لعصر الأسرة التاسعة عشرة تصف نقوشها الله (سبحانه وتعالى) أنه «الوحيد الحى» وأخرى بأنه «الوحيد الخالد» أى الواحد الأَحَد.

وهكـذا عرفت مصـر التوحيد قبل دعوة إخناتـون، وقد صَنَّفَ المـؤرخ المصرى القديم (مانيتـون) تاريـخ مصر إلى ٣٠ أسـرة ملكية ابتـداء من عصر مينا موحـد القطرين حوالى (٣٢٠٠ ق.م.) إلى غـزو الإسـكندر المقدونى لمصـر (عام ٣٣٢ ق.م.)، ويؤكـد مانيتون أن التوحيد هو لب عقائد المصريين القدماء وأرجعه لنبوات سبقت عصر الأسرات كنبوة إدريس (عليه السلام) الذى كان يدعو لعبادة الله الواحد الأحد وإلى مكارم الأخلاق.

وشـاعت مواعظ الملوك والحكماء التى يُذكر فيها الخالـق بصيغة المفرد والتى تدعو إلى حسـن الخلق، واعتمادا على ترجمة النقوش والبرديـات توصل الكثير من الأثريين إلى أن مصر هى مهد التوحيد وأن التوحيد هو أساس الديانة منذ عصر ما قبل الأسرات وأن آثارهم ورموزهم قد اصطبغت بالتوحيد ملوكا وكهنةً ورعيةً.

وقد قال الأثرى الفرنسـى (جاسـتون ماسـبيرو) مدير المتحف المصرى فى نهاية القرن التاسع عشر: «إن المصريين القدماء كانوا أمة مخلصة فى العبادة فكانوا يرون مجد الله فى كل مـكان فهامـت قلوبهم فى محبته وانجذبت أفئدتهم إليه واشـتغلت أفكارهم به ولازم لسـانهم ذكره وشُـحِنَت كتبهم بمحاسـن أفعاله» ، وفى مؤلفاته كتب (والس بدج): «لقد أدرك المصريون بالفعل وجود إله (ليس كمثله شـىء Who had no like...) و(لم يكن له كفوا أحد Who had no equal).

ومتون الأهرام التى اكتشفها جاستون ماسبيرو عام ١٨٨١م تحوى أقدم النصوص التوحيدية وترجع إلى ما قبل التاريخ المكتوب ٦٠٠٠ – ٥٠٠٠ ق.م. وهى تسجيل لمعتقدات حضارات بالغة القدم.

وفى عصر الأسرة الثالثة (٢٦٥٠ – ٢٥٧٥ ق.م.) كان من وصايا الحكيم (إيمحوتب) مهندس الملك زوسر وبانى أول هرم صخرى (هرم سقارة المدرج) بهيئة سلم يتجه نحو السماء: «لا تسخر من الإنسان الذى به إعاقة ولا تسخر من الذى فقد بصره ولا تضحك من الرجل الذى عقله فى يد الله (المريض العقلى)» .

واحتمل البعض أن إيمحوتب هو النبى يوسف عليه السلام. الذى جاء مصر فى هدوء وسلام لا غازيا طامعا فى سلطة فوَهَبَه الله السلطة. والاسم إيمحوتب يعنى فى الهيروغليفية: «الذى جاء فى سلام».

وفى عصر الأسرة الرابعة و (٢٥٧٥ – ٢٤٦٥ ق.م) كان المأثور عن الحكيم (كاجمنى) وزير الملك سنفرو: «اسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الإله (هو) قوى وهو يحكم ويدبر العالم ويرزق البشر».

وفى عصر الأسرة الخامسة ٢٤٦٥ – ٢٣٢٣ ق.م. كان المأثور عن الحكيم (بتاح حتب) فى مواعظه لابنه وفق بردية إبريس جامع الوثائق القديمة: «بيد الإله مصير كل حى ولا يجادل فى هذا إلا الجاهل، إن تدبير الخلق بيد الله الذى يحب خلقه».

وفى عصر الأسرة السادسة ٢٣٢٣ – ٢١٥٠ ق.م: «أيها السيد المالك كل شىء والذى لا نهاية لواسع علمه وبالغ قدرته ولا حد له».

وفى عصر الأسرة الثامنة ٢١٥٠ – ٢١٣٥ ق.م. فى ترجمة بردية الحكيم (آنى): «اخلص لله فى أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك عنايته».

وفى عصر الأسرة العاشرة ٢١٣٥ – ٢٠٢٢ ق.م وفق ترجمة بردية مواعظ الملك الحكيم خيتى (إختُوَى): «الله وراء الأجيال محيط بأعمالهم لا تدركه أبصار الناس وهو يدرك ما يعملون فاعبد الله، والإله يقول إنى أنا المنتقم وسأعاقب كُلا بذنبه وعلى الإنسان أن يعمل ما يريد على ألا ينسى الحساب الأخير.

وفى عصر الأسرات ١١ و١٢ و١٣ ٢١٣٥ – ١٦٥٠ ق.م. وفق ترجمة بردية (تشستربيتى

Chester Beatty): «لا تعترض على الرب فإنه يغضب على من يعترض عليه ولا ترفع صوتك فى المحراب فإن الله يحب السكون».

وفى زمن حكم الهكسوس العَمَالِيق عصر الأسرات ١٥ و١٦ و١٧ ١٦٥٠ – ١٥٥٠ ق.م. تم احتلال الدلتا وعانت مصر من قسوة هؤلاء الجحافل الجبارين من البدو الرعاة القادمين من ربوع الهلال الخصيب من الأعراب الرُّحَّل والآراميين الوثنيين، ولقب عماليق ليس وصفا للطول وإنما المقطع (عَم) هيروغليفى يعنى بدوى والجمع (عَمُوا) البدو و(ليق) آرامى ويعنى المجندين وهم مرتزقة أشداء والمعنى الإجمالى: المجندين البدو، وسماهم الرومان الهكسوس بمعنى الملوك الرعاة وسماهم القرآن الكريم بتسمية وصفية أدق وهى الجبارين: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المائدة: آية ٢١ – ٢٢].

وفى زمن الأسرة الثامنة عشر (١٥٥٠ – ١٢٩١ ق.م.) أوصى الملك الحكيم (تحتمس الثالث) وزيره رخمى (رع) قائلا: «لا يرضى الرب بالتحيز كن يقظا فمنصب الوزير عماد الأرض كلها فليس للوزير أن يستعبد الناس تصرف بالعدل فالمحاباة يمقتها الرب كن عادلا مع من تعرفه ومن لا تعرفه».

وعن الوزير الحكيم رخمى (رع): «اسمعوا أنتم يا من فى الوجود إن الله يعلم ما فى الأنفس».

وفى ترنيمة بالمتحف البريطانى فى عصر أَمِنْحُتُب (إمنوفيس) الثالث ١٣٩١ – ١٣٦ ق.م.: « أيها الخالق الذى لم يخلقك أحد الواحد المنقطع القرين (النظير) فى صفاتك والراعى ذو القوة والبأس والصانع الخالد فى آثاره التى لا يحيط بها حصر».

وفى نهاية الأسرة الثامنة عشر ظهر ابنه أَمِنْحُتُب الرابع المُلَقَّب بلقب (إخناتون) – ١٣٧٠ – ١٣٠٤ ق. م. كأشهر الموحدين.

وفى عصر الأسرة العشرين ١١٨٧ – ١٠٧٥ ق.م عاش الحكيم (أمين موبى Amen Mope) ومن أقواله: (ما فائدة الملابس الجميلة إذا كان الإنسان باغيا أمام الله، الكمال لله وحده والعجز من صفة الإنسان إنه لسعيد من يصل إلى الدار الآخرة وهو ناج فى يد الله).

ووفق ما توصل إليه الباحث الألمانى (إرمان) وأعلنه سنة ١٩٢٤م سفر الأمثال فى أسفار

اليهود والذى نسبه الأحبار الكهنة كتبة الأسفار إلى النبى سليمان ما هو إلا ترجمة حرفية لأمثال الحكيم المصرى (أمين موبى) المكتشفة برديتها حديثا.

قال (برستد): «وجميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يُعتَد بآرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون الآن بأن محتويات سفر الأمثال قد أخذت بالنص من حِكَم الحكيم المصرى القديم أمين موبى، أى إن النسخة العبرانية هى ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفى العتيق».

وفى عصر الأسرة الواحد والعشرين ١٠٧٥ – ٦٦٤ ق.م. عاش (لقمان الحكيم) المصرى ابن النوبة وقد شهد له القرآن الكريم بما كان عليه حكماء مصر قديما من توحيد وتقوى وورع وتَنَسُّك وزهد وهو إنباء بغيب فى وقت قد زالت فيه حضارتهم واندثرت معالم لغتهم والتى لم تُفَك شفرة طلاسمها وتُعرف دلالة رموزها إلا بعد اكتشاف حجر رشيد سنة ١٧٩٩م وكان أول ما وعظ به ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [سورة لقمان: آية ١٣].

وفى عصر الأسرة الثلاثين ٣٨٠ – ٣٣٢ ق.م. عاش الحكيم (بتوزيريس) كبير كهنة الأشمونين بصعيد مصر وسجل كتاباته حوالى (٣٥٠ ق.م.) ونُقِشَت على مقبرته أقوالا فى التوحيد: ألا ما أسعد من ملأت خشية الله قلبه.

والمأثور بعد عصر الأسرات عن الحكيم (أفلوطين) المولود فى أسيوط سنة ٢٠٥ م قوله: الله هو الواحد (The One) الذى صدرت عنه الموجودات هو علة كل ما هو موجود.

❑❑❑

الفلسفة فى الحضارة الإغريقية

الفلسـفة الإغريقية[٢٢] تقوم على السبب والتحقق، ويرى الفلاسفة المعاصرون أنها تُعتبر أساسـا للفلسـفة الغربية منذ إنشـائها فإذا كان تفكير الإنسـان القديم أسطوريا فى تفسير الظواهر الكونية والوجودية وشاعريا يعتمد على الخيال والمجاز فإن تفسير الإنسان اليونانى كان تفكيرا عقلانيا يعتمد على البرهان الذهنى والمنطق الاستدلالى، واللوغوس (أصل الكلمة – السـبب – logos) كلمة إغريقية تعنى السـبب أو المنطق ومنها الكلمة الإنجليزية (علم أصول الكلام – علم المنطق أو القياس – logic).

حيث كان الفيلسوف اليونانى يعتمد على البرهان الذهنى والمنطق الاستدلالى واللوغوس فـى فهـم الوجود وتفسـيره، وإذا كان (فيثاغورس) هو أول من أطلق كلمة فيلسـوف على المشـتغل بالحكمة فإن سـقراط هو أول من أنزل الفلسـفة من السـماء إلى الأرض، أى إنه اتبع فى فلسـفته القياس المادى أو البرهان العقلى، وقد ظهرت الفلسـفة كما هو معلوم فى اليونان ونضجت بالخصوص فى عاصمتها أثينا ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد مكتوبة باللغة الإغريقية هدفها فهم الكون والطبيعة والإنسـان وتشخيص سلوكه الأخلاقى والمجتمعى والسياسى وإرساء مقومات المنهج العلمى والبحث الفلسفى والمنطقى.

نشأة الفلسفة الإغريقية

- لنشـأة الفلسـفة الإغريقية تلك العوامل التاريخية الاقتصادية السياسـية الجغرافية وما تبع تلك العوامل من العوامل الفكرية.
- ظهـرت الحضارة الإغريقية فى بلاد اليونـان الكبرى مكتملة الوجود ما بين القرنين الخامس والتاسـع قبل الميلاد، وتوحدت كثير من القبائـل والمدن داخل كيان الأمة اليونانيـة بعـد أن كانت متفرقة فى جزر بحر إيجه وآسـيا الصغرى ومنطقة البلقان وشبه جزيرة المورة وجنوب إيطاليا وصقلية.
- قـد أُطلق علـى اليونانيين تسـمية الإغريق من قبـل الرومان لأنهم كانـوا يتكلمون الإغريقية أما هم فقد كانوا يسمون أنفسهم الآخيين ثم الهلينيين.

- وقد مرت الحضارة الإغريقية بثلاث مراحل كبرى: العصر الهلنستى ابتداء من (٣٠٠ ق.م.) مرورا بالعصر الكلاسيكى الذى يُعد أزهى العصور اليونانية فى عهد الحاكم الديمقراطى بركليس ويمتد هذا العصر من القرن (٣٥٠ إلى ٥٠٠ ق.م.) ليعقبه العصر الأرخى وهو عصر الطغاة والمستبدين الذين حكموا أثينا بالاستبداد، وكذلك الحكم الإسبرطى الحربى الذى سن سياسة التوسع والهيمنة على جميع مناطق اليونان كما مد سلطة نفوذه المطلق على أثينا.

وإذا كانت إسبرطة دولة حربية منغلقة على نفسها تهتم بتطوير قدرات جيشها على القتال والاستعداد الدائم لخوض المعارك والحروب فإن أثينا كانت هى المعجزة الإغريقية التى تهتم بالجوانب الفكرية والثقافية والاقتصادية، وعرفت أثينا فى عهد بريكليس نظاما ديمقراطيا مهما أساسه احترام القانون واحترام حقوق المواطن اليونانى.

وتتميز المدن اليونانية بأنها دول مستقلة لها أنظمتها السياسية والاقتصادية وقوانينها الخاصة فى التدبير والتسيير والتنظيم ومن أهم هذه المدن أثينا وإسبرطة هذا من الناحية التاريخية.

ومن الناحية الاقتصادية عرفت اليونان نهضة كبرى فى المجال الاقتصادى لكونها حلقة وصل بين الشرق والغرب، وكان لأثينا أسطول تجارى بحرى يساعدها على الانفتاح والتبادل التجارى بين شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

وقد ساهم اكتشاف المعادن فى تطوير جوانب الاقتصاد اليونانى وازدهرت الفلاحة وكان العبيد يسهرون على تفليح الأراضى وحصد الناتج الزراعى، ونتج عن هذا الازدهار الاقتصادى رخاء مالى اجتماعى.

ومن الناحية السياسية لم تصل اليونان إلى حضارتها المزدهرة إلا فى جو سياسى ملائم لنمو مقومات هذه الحضارة، ومع انفتاح اليونان على شعوب البحر الأبيض المتوسط وازدهار التجارة البحرية ونمو الفلاحة والصناعة والحرف ظهرت طبقات جديدة مثل أرباب الصناعات، والتجار الكبار، والحرفيين وساهم هؤلاء فى ظهور النظام الديمقراطى وخاصة فى عهدى بريكليس وكليستين.

ومن الناحية الجغرافية كانت اليونان فى القديم من أهم دول البحر الأبيض المتوسط لكونها مهد المدنية والحضارة والحكمة ومحل الفكر العقلانى والمنطق الإنسانى وجغرافيا

فـإن اليونان إبان ازدهارها كانت تطل جنوبا على جزيرة كريت العظيمة ويحيطها شـرقا بحر إيجة وآسيا الوسطى التى كانت تمد اليونان بمعالمها الحضارية وثقافات الشرق، وفى الغرب عبر أيونيا تقع إيطاليا وصقلية وأسـبانيا، وفى الشمال تقع مقدونيا وهى عبارة عن شـعوب غير متحضرة، وتتشكل اليونان على مستوى التضاريس من جبال شاهقة وهضاب مرتفعة وسواحل متقطعة ووديان متقعرة.

حيث قسـمت هذه التضاريس بلاد اليونان إلى أجزاء منعزلة وقطع مستقلة ساهمت فى تبلور المدن التى كانت لها أنظمة وأسـاليب خاصة فى الحكم والتدبير الإدارى والتسـيير السياسى وكانت من أشهر المدن اليونانية أثينا وإسبارطة.

وكانت أثينا مهد الفلسفة اليونانية وتقع فى شرق إسبرطة وموقعها متميز واستراتيجى؛ فهى الباب الذى يخرج منه اليونانيون إلى مدن آسـيا الصغرى وعبر هذه المدن كانت تنقل حضارة الشرق إلى بلاد اليونان.

ومـن أهـم ركائـز أثينـا اعتمادها علـى مينائهـا وأسـطولها البحرى، وبـين عامى (٤٧٠ – ٤٩٠ ق .م.) تركت أثينا وإسبرطة صراعهما وتوحدت لمحاربة الفرس تحت حكم (داريوس الحاكم فارسـى) الذى كان يسـتهدف استعمار اليونان وتحويلها إلى مملكة تابعة للإمبراطورية الفارسية، ولكن اليونان المتحدة استطاعت أن تلحق الهزيمة بالجيش الفارسى.

وقد شـاركت أثينا فى هذه الحرب الضروس بأسـطولها البحرى بينما قدمت إسـبرطة جيشـها القوى وبعد انتهاء الحرب سـرحت إسـبرطة جيوشـها وحولت أثينا أسـطولها الحربى إلى أسطول تجارى ومن ثم أصبحت أثينا من أهم المدن التجارية فى حوض البحر الأبيض المتوسط.

وقد عرفت أثينا نشـاطا فكريا وفلسـفيا كبيرا بفضل الموقع الجغرافى والنشاط التجارى ونظامهـا السياسـى الديمقراطى، وتمتع الأثينـى بالحريات الخاصة والعامة وإحساسـه بالمساواة والعدالة الاجتماعية فى ظل هذا الحكم الجديد.

فأصبحت أثينا إحدى المدن التجارية العظيمة فى العالم القديم وتحولت إلى سوق كبيرة وميناء ومكان اجتماع الرجال من مختلف الأجناس والعادات والمذاهب، وحملت خلافاتهم واتصالاتهم ومنافسـاتهم إلى أثينا التحليل والتفكير... وبالتدريج تطور التجار بالعلم وتطور الحسـاب بتعقيد التبادل التجارى وتطور الفلك بزيـادة مخاطر الملاحة مما أدى إلى الثروة المتزايدة والفراغ والراحة والأمن وهى الشروط اللازمة فى البحث والتأمل والفكر.

ومع ازدهار الاقتصاد وديمقراطية الحكم السياسى وانفتاح الدولة على شعوب البحر الأبيض المتوسط وانصهار الثقافات انتعشت اليونان ثقافيا وفكريا وتطورت الآداب والفنون والعلوم، وفى مجال الألعاب الأوليمبية كان البطل الأسطورى هرقل والرياضيات مع طاليس والمدرسة الفيثاغورية، وتطور الطب مع أبقراط أبو الأطباء، وتطورت الفلسفة مع الحكماء والفلاسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو.

ظهور الفلسفة اليونانية

لم تظهر الفلسفة اليونانية فى البداية إلا فى مدينة ملطية الواقعة على ضفاف آسيا الصغرى حيث أقام الآيونيون مستعمرات غنية مزدهرة، وفى هذه المدينة ظهر كل من طاليس وأنكسمندرس وأنكسمانس وشكلوا مدرسة واحدة فى الفلسفة وهى المدرسة الطبيعية أو المدرسة الكسمولوجية (الوجودية)، وتتسم هذه الفلسفة بكونها ذات طابع مادى ترجع أصل العالم إلى مبدأ حسى ملموس ولا تعترف بوجود الإله الربانى، وبعد ذلك انتقلت الفلسفة اليونانية إلى المناطق الأخرى كأثينا وإيطاليا وصقلية أو ما سيشكل اليونان الكبرى.

ومرت الفلسفة اليونانية فى مسارها الفكرى بثلاث مراحل أساسية: طور النشأة أو ما يُسمى بفلسفة ما قبل سقراط، طور النضج والازدهار ويمتد هذا الطور من سقراط حتى أرسطو، طور الجمود والانحطاط وقد ظهر هذا الطور بعد أرسطو وأفلاطون وامتد حتى بداية العصور الوسطى.

المدارس الفلسفية الإغريقية (اليونانية)

المدرسة الكسمولوجية (الطبيعة) (علم استكشاف الكون – Cosmology وأصلها كلمة لاتينية تعنى الكون أو العالم – Koz' mos –... ومنها الكلمة الإنجليزية – الكون – Cosmos).

ظهرت الفلسفة اليونانية أول ما ظهرت مع الحكماء الطبيعيين الذين بحثوا عن العلة الحقيقية للوجود الذى أرجعوه إلى أصل مادى وكان ذلك فى القرن السابع والسادس قبل الميلاد وكانت فلسفتهم خارجية وكونية أساسها مادى تهتم بفهم الكون وتفسيره تفسيرا طبيعيا باحثين عن أصل الوجود بما هو موجود.

ويُعد طاليس (٦٠٥ – ٥٤٨ ق.م.) عالم الرياضيات أول فيلسوف يونانى اشتغل بالفكر الفلسفى وهو من الحكماء ومن رواد المدرسة الملطية وقد جمع بين النظر العلمى والرؤية الفلسفية وقد وضع طريقة لقياس الزمن.

وتبنى طاليس دراسة الأشكال المتشابهة فى الهندسة وخاصة دراسته للمثلثات المتشابهة، ولقد اكتشف البرهان الرياضى فى التعامل مع الظواهر الهندسية والجبرية أو ما يُسمى بالكم المتصل والكم المنفصل وإذا كان هناك من ينسب ظهور الرياضيات إلى فيثاغورس فإن «كانط» يعتبر طاليس أول رياضى فى كتابه «نقد العقل النظرى».

وطاليسُ يرجع أصل العالم فى كتابه عن الطبيعة إلى الماء باعتباره العلة المادية الأولى التى كانت وراء خلق العالم ويؤكد طاليس أن الماء هو قوام الموجودات بأسرها فلا فرق بين هذا الإنسان وتلك الشجرة وذلك الحجر إلا الاختلاف فى كمية الماء الذى يتركب منها هذا الشىء أو ذاك.

أما انكسمندريس (٦١٠ – ٥٤٥ ق.م.) تلميذ طاليس وأستاذ المدرسة المالطية فهو يرى أن أصل العالم مادى يكمن فى اللامحدود أو اللامتناهى وقد تصور امتداد هذا اللامتناهى حتى ظهور الكائنات الحية. وقد آمن انكسمندريس بالصراع الجدلى وبنظرية التطور وفى المقابل ذهب إنكسمانس فى كتابه عن الطبيعة إلى أن الهواء هو أصل الكون وعلة الوجود الأولى.

وبعد ذلك فلاسفة عدة هرقليطس (من مواليد ٥٤٥ ق.م) ومؤلف كتاب «عن الطبيعة» ويذهب إلى فلسفة التغير والتحول وأن النار هى أساس الكون وعلة الوجود أما بارمندس (من مواليد ٥٤٠ ق.م.) وترتكز نظريته الفلسفية على الثبات والسكون كما هو موضح فى كتابه «عن الطبيعة» أى إن الوجود هو ثابت وساكن ومناقض للصائر والمتغير وقال: «الوجود كائن واللاوجود غير كائن». ومن هنا نستنتج أن أصل الكون الحقيقى عند بارمندس هو الوجود.

أما أمبادوقليس (وتوفى تقريبا فى عام ٤٣٥ ق.م. وكانت ولادته على وجه التقريب فى ٤٩٠ ق.م. ومن مؤلفاته كتاب «التطهيرات» وهو أقرب إلى كتاب الأساطير والمعانى الدينية منها إلى الفكر العلمى ويثبت أمبادوقليس أن الكون أصله أربعة: (النار، الهواء، الماء، التراب) وقد أضاف العنصر الخامس وهو الأثير وكل عنصر من هذه العناصر تعبر عن آلهة أسطورية خاصة.

ويذهب أكزينوفانوس (المتوفى سنة ٤٨٠ ق.م.) إلى أن أصل الكون هو التراب أو الأرض وقد ذهب أنكساجوراس إلى أن أصل الكون هو عدد لا نهائى من العناصر أو البذور يحركها عقل رشيد بصير أما المذهب الذرى الذى يمثله كل من: ديمقريطيس ولوقيبوس فيرى أن أصل العالم هو الذرات.

ويلاحظ على مدرسة الطبيعة أنها مدرسة مادية تهتم بالطبيعة من منظار كونى، والمنهج التحليلى عندهم يتسم بالخلط بين العقل والأسطورة والشعر والتحليل الميتافيزيقى (Metaphysics- ما وراء الطبيعة).

المدرسة الفيثاغورية (العقل والمنهج العلمى)

فيثاغورس[٢٣] (٥٨٠ – ٥٠٠ ق.م.) هو عالم رياضيات يونانى يُعرف بأنه كان مفكرا بارزا أقام فى مستعمرة كرتون اليونانية فى إيطاليا حوالى سنة ٥٣٠ ق.م. حيث أنشأ مدرسة لاستقبال زملائه ولمناقشة موضوعات مثل ماذا يحدث للروح عندما يموت الجسد.

واهتم فيثاغورس كثيرا بعدد من المواضيع العلمية ومما يؤثر أنه هو القائل بأن الأرض تدور حول الشمس قبل ألفى سنة من العالم الفلكى البولونى «كوبر نيكوس».

وقد بيّن أن شد سلك بين ملزمتين أو إرخاءه يبدّل النغمة الموسيقية التى يبعثها عندما يُنقر عليه فى فترات منتظمة وتكون النتيجة سلّم موسيقى هرمونى.

فيثاغورس (Πυθαγόρας)

تنتسب المدرسة الفيثاغورية إلى العالم الرياضى اليونانى فيثاغورس، وفى تدوين آخر لفترة حياته: .(٥٦٩ – ٤٧٥ ق.م.) الذى يُعد أول من استعمل كلمة فيلسوف محب الحكمة، أما الحكمة فكانت لا تنسب سوى للآلهة (رأى فيثاغورس) ويذهب فيثاغورس إلى أن العالم عبارة عن أعداد رياضية كما أن الموجودات عبارة عن أعداد وبالتالى فالعالم عنده عدد ونغم، وتتسم الفيثاغورية بأنها مذهب دينى عميق الرؤية والشعور كما أنها مدرسة علمية تعنى بالرياضيات والفلك والطب والموسيقى، وقد طرحت الفيثاغورية كثيرا

من القضايا الحسابية والهندسية موضع نقاش وتحليل كما أن الفيثاغورية هيئة سياسية تستهدف تنظيم المدينة على أيدى الفلاسفة الذين يحتكمون إلى العقل والمنهج العلمى.

المدرسة السفسطائية (القائمة على الشك)

ظهرت المدرسة السفسطائية فى القرن الخامس قبل الميلاد بعد أن انتقل المجتمع الأثينى من طابع زراعى إقطاعى مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجارى يهتم بتطوير الصناعات وتنمية الحرف والاعتماد على الكفاءة الفردية، وأصبح المجتمع فى ظل صعود هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة رجال التجارة، وأرباب الصناعات، مجتمعا ديمقراطيا يستند إلى حرية التعبير والاحتكام إلى المجالس الانتخابية والتصويت بالأغلبية ولم يعد هناك ما يُسمى بالحكم الوراثى أو التفويض الإلهى بل كل مواطن حر له الحق فى الوصول إلى أعلى مراتب السلطة، لذلك سارع أبناء الأغنياء لتعلم فن الخطابة والجدل السياسى لإفحام خصومهم السياسيين، وهنا ظهر السفسطائيون ليزودوا هؤلاء بأسلحة الجدل والخطابة واستعمال بلاغة الكلمة فى المرافعات والمناظرات الحجاجية والخطابية.

وقد تحولت الفلسفة إلى وسيلة لكسب الأرباح المادية ولاسيما أن أغلب المتعلمين من طبقة الأغنياء ومن الفلاسفة السفسطائيين جورجياس، وكاليكيس، وبروتاغوراس وقد تسبب هذا التيار الفلسفى القائم على الشك والتلاعب اللفظى وتضييع الحقيقة وعدم الاعتراف بها فى ظهور الفيلسوف سقراط الذى كان يرى أن الحقيقة يتم الوصول إليها ليس بالظن والشك والفكر السفسطائى المغالطى بل بالعقل والحوار الجدلى التوليدى واستخدام اللوجوس أو المنطق.

المدرسة السقراطية (إدراك الحقيقة)

سقراط[٢٣]:

سقراط فيلسوف أثينا

فيلسوف أثينا (٤٨٦ ق.م. – ٣٩٩ ق.م.) يُعد سقراط أبا الفلاسفة اليونانيين وقد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، ويعنى هذا أن الحكماء الطبيعيين ناقشوا كثيرا من القضايا التى تتعلق بالكون وأصل الوجود وعلته الحقيقية التى كانت وراء وجود هذا العالم أو هذا الوجود الكونى، وعندما ظهر سقراط غير

مجرى الفلسفة فحصرها فى أمور الأرض وقضايا الإنسان والذات البشرية فاهتم بالأخلاق والسياسة وقد ثار ضد السفسطائيين الذين زرعوا الشك والظن.

ودافع سقراط عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلمى الصحيح للوصول إلى الحقيقة وذلك بالاعتماد على العقل والبرهان المنطقى، والهدف من الفلسفة لدى سقراط هو تحقيق الحكمة وخدمة الحقيقة لذاتها وليس الهدف وسيلة أو معيارا خارجيا كما عند السفسطائيين الذين ربطوا الفلسفة بالمكاسب المادية والمنافع الذاتية والعملية، وكان سقراط ينظر إلى الحقيقة فى ذات الإنسان وليس فى العالم الخارجى، وما على الإنسان إلا أن يتأمل ذاته ليدرك الحقيقة لذلك قال قولته المأثورة : «أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك».

المدرسة الأفلاطونية (المثالية)

أفلاطون[٢٣]:

أفلاطون (Πλάτων)

(باللاتينية: Plato) ويعنى اسمه: «واسع الأفق» (٤٢٧ – ٤٢٨ ق.م.\ ٣٤٧ – ٣٤٨ ق.م) فيلسوف يونانى كلاسيكى رياضياتى كاتب عدد من الحوارات الفلسفية ويُعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا أول معهد للتعليم العالى فى العالم الغربى، ومعلمه سقراط وتلميذه أرسطو، وقد وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم وتأثر بأفكار معلمه سقراط كما تأثر بإعدامه الظالم، ونبوغ أفلاطون وأسلوبه واضح فى محاوراته السقراطية (نحو ثلاثين محاورة) التى تتناول مواضيع فلسفية مختلفة مثل: الرياضيات، المعرفة، المنطق، اللغة، الميتافيزقا، الأخلاق، والسياسة.

جاء أفلاطون بعد سقراط ليقدم تصورا فلسفيا عقلانيا مجردا ولكنه تصور مثالى لأنه أعطى الأولوية للفكر والعقل، ولأفلاطون نسق فلسفى يضم تصورات متماسكة حول الوجود والمعرفة والقيم، وقد قسم أفلاطون العالم إلى قسمين: العالم المثالى والعالم المادى.

فالعالم المادى هو عالم متغير ونسبى ومحسوس وقد استشهد أفلاطون بقصة الكهف التاريخية ليبين أن العالم الذى يعيش فيه الإنسان هو عالم غير حقيقى وأن العالم الحقيقى

هو عالم الـمُثل الذى يُوجد فوقه الخير الأسمى والذى يمكن إدراكه عن طريق التأمل العقلى.

كمـا يتـم إدراك المعرفة فى عالم الـمُثل عن طريق التفلسـف العقلانى ومن هنا فالمعرفة حسـب أفلاطون تذكر والجهل نسـيان ويعنى هذا أننا كلما ابتعدنا عن العالم المثالى أصابنا الجهـل لـذا فالمعرفة الحقيقية أساسـها إدراك عالم الـمُثل وتمثل مبادئـه المبادئ المطلقة الكونية التى تتعالى عن الزمان والمكان.

ومـن ثم فأصل المعرفة هو العقل وليس التجربة أو الواقع المادى الحسـى الذى يحاكى عالم الـمُثل محاكاة مشـوهة، فجميع القيم الأخلاقية من خير وجمال وعدالة نسـبية فى عالمنا المادى ومطلقة حقيقية فى عالم المثل المطلق والأزلى.

ويؤسـس أفلاطون فى «الجمهورية الفاضلة» مجتمعـا متفاوتا وطبقيا وكان يفضل إنتاج النظريات وممارسـة الفكر المجرد، كما طرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته الفاضلة لأنهم يحاكون العالم النسبى محاكاة مشوهة وكان عليهم أن يحاكوا عالم المثل بطريقة مباشرة دون وساطة نسبية أو خادعة تتمثل فى محاكاة العالم الوهمى بدلا من محاكاة العالم الحقيقى.

وفلسـفة أفلاطون فلسـفة مثالية مفارقة للمادة والحس وتعتبر عالم الـمُثل العالم الأصلى بينمـا العالم المادى هو عالم زائف ومشـوه وغير حقيقـى، وفى كتابه «جمهورية أفلاطون» يقدم تصورات فلسفية واجتماعية وسياسية.

والتصـور الأفلاطونـى يقوم على ثنائيات العالم المادى فى مقابل العالم المثالى وانشـطار الإنسـان إلى روح من أصل سماوى وجسـد من جوهر مادى وانقسام المعرفة إلى معرفة ظنية محسوسة فى مقابل معرفة يقينية مطلقة.

وعلى المسـتوى الاجتماعى أثبت أفلاطون أن هناك عامة الناس وهم سـجناء الحواس الظنية، والفلاسـفة الذيـن ينتمون إلى العالم المثالى لكونهم يتجـردون من كل قيود الحس والظن وعالم الممارسة.

مدرسة أرسطو (المادية)

أرسطو[٢٣] :

(٣٨٤ق.م. – ٣٢٢ ق.م.) فيلسوف يونانى تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر وواحد مـن عظماء المفكريـن، وتغطى كتاباته مجالات عـدة منها: الفيزياء والميتافيزيقا والشـعر

والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان وهو واحد من أهم مؤسسى الفلسفة الغربية.

ويعد أرسطوطاليس (Aristotle) فيلسوفا موسوعيا شاملا وكانت فلسفته تنفتح على كل ضروب المعرفة والبحث العلمى؛ إذ يبحث فى الطبيعة والميتافيزيقا والنفس وعلم الحياة والسياسة والشعر وفن الخطابة والمسرح وقد وضع المنطق الصورى الذى كان له تأثير كبير فى كثير من الفلاسفة إلى أن حل محله المنطق الرمزى مع برتراند راسل و وايتهاد.

أرسطو أو أرسطوطاليس
(Αριστοτέλης)

يذهب أرسطو إلى أن العالم الحقيقى هو العالم الواقعى المادى أما العالم المثالى فهو غير موجود وأن الحقيقة لا توجد سوى فى العالم الذى نعيش فيه وخاصة فى الجواهر التى تُدرك عقلانيا ولا توجد الحقيقة فى الأعراض التى تتغير بتغير الأشكال، أى إن الحقيقى هو الثابت المادى أما غير الحقيقى فهو المتغير المتبدل.

ولقد أعطى أرسطو الأولوية لما هو واقعى ومادى على ما هو عقلى وفكرى ومن هنا عد أرسطو فيلسوفا ماديا اكتشف العلل الأربع: العلة الفاعلة والعلة الغائية والعلة الصورية الشكلية والعلة المادية، فإذا أخذنا الطاولة مثالا لهذه العلل الأربع فالنجار يحيل على العلة الفاعلة والصانعة أما الخشب فيشكل ماهية الطاولة وعلتها المادية أما صورة الطاولة فهى العلة الصورية الشكلية فى حين تظهر العلة الغائية فى الهدف من استعمال الطاولة التى تسعفنا فى الأكل والشرب.

المدرسة الفلسفية (الأخلاقية)

وقد تبلور هذا الاتجاه الفلسفى الأخلاقى بعد موت أرسطو وتغير الظروف الاجتماعية والسياسية حيث انصرف التفكير فى الوجود إلى البحث فى السلوك الأخلاقى للإنسان.

وقد ارتبطت المدرسة الأخلاقية بالفيلسوف زينون (٣٣٦ – ٢٦٤ ق.م.) الذى اقترنت الفلسفة عنده بالفضيلة واستعمال العقل من أجل الوصول إلى السعادة الحقيقية، وتعد تلك

الفلسفة مدخلا أساسيا للوصول إلى المنطق والأخلاق والطبيعة وهو ما كان مختلفا عن المنطق الأرسطى الصورى وقد أثر منطقهم فى الكثير من الفلاسفة والعلماء.

المدرسة الأبيقورية (الأخلاقية العملية)

تُنسب الفلسفة الأبيقورية إلى إبيقور (٣٤١ – ٢٧٠ ق.م.) وتتميز فلسفته بصبغة أخلاقية عملية وترتبط هذه الفلسفة بالسعادة الحسية.

وتسعى الفلسفة فى منظور هذه المدرسة إلى الحصول على السعادة باستعمال العقل والسعادة هى غاية الفلسفة ويخدمها المنطق وعلم الطبيعة، أى إن المنطق هو الذى يسلم الإنسان إلى اليقين الذى به يطمئن العقل والذى بدوره يؤدى إلى تحقيق السعادة، ويهدف علم الطبيعة إلى تحرير الإنسان من مخاوفه وأحاسيسه التى تثير فيه الرعب ويعنى هذا أن الفلسفة لابد أن تحرر الإنسان من مخاوفه وقلقه والرعب الذى يعيشه فى الطبيعة بسبب الظواهر الجوية والموت وغير ذلك.

المدرسة الإسكندرية

انتقلت الفلسفة إلى مدينة الإسكندرية التى بناها الإسكندر المقدونى إبان عصر سقراط وأفلاطون وأرسطو، وكانت الإسكندرية مشهورة بمكتبتها العامرة التى تمتلئ بالكتب النفيسة فى مختلف العلوم والفنون والآداب، ومن أشهر علماء هذه المدرسة: إقليديس وأرشميديس، وقد انتعشت هذه المدرسة فى القرون الميلادية الأولى وامتزجت بالحضارة الشرقية مع امتداد الفكر الدينى والوثنى وانتشار الأفكار الأسطورية والخرافية والنزعات الصوفية.

ومن مميزات هذه المدرسة التوفيق بين آراء أفلاطون المثالية وأرسطو المادية والتشبع بالمعتقدات الدينية المسيحية واليهودية، والأفكار الوثنية من زرادشتية ومانوية وبوذية، والفصل بين العلم والفلسفة بعد ظهور فكرة التخصص المعرفى والاهتمام بالتصوف والتجليات العرفانية والانشغال بالسحر والتنجيم والغيبيات والإيمان بالخوارق.

وقد تشبعت الفلسفة الأفلاطونية بهذا المزيج الفكرى الذى يتجسد فى المعتقدات الدينية والمنازع الصوفية وآراء الوثنية فنتج عنها فلسفة غربية امتزجت بالطابع الروحانى الشرقى وذلك من أجل التوفيق بين الدين والفلسفة.

والذين كانوا يمارسون عملية التوفيق كانوا يعتقدون أنهم يوفقون بين أرسطو وأفلاطون ولكنهم كانوا فى الحقيقة يوفقون بين أفلاطون وأفلوطين مما أعطى هجينا فكريا يُعرف بالأفلوطينية الجديدة ومن أشهر فلاسفة المدرسة الإسكندرية كلا من فيلون وأفلوطين الذين كانت تغلب عليهما النزعة الدينية والتصور المثالى فى عملية التوفيق وتتسم فلسفة أفلوطين بكونها مزيج فيه آراء أفلاطون والأخلاقيين والأفكار الهندية والنسك الشرقى والديانات الشعبية المنتشرة آنذاك».

والطابع العام لفلسفة أفلوطين هو غلبة الناحية الذاتية على الناحية الموضوعية فهى فلسفة تتسم بعمق الشعور الصوفى والمثالية الأفلاطونية ووحدة الوجود الأخلاقية، فالمعرفة عنده وعند شيعته تبدأ من الذات وتنتهى إلى الله دون أن تمر بالعالم المحسوس وهذه المعرفة الذاتية الباطنية هى كل شىء عند فلسفة أفلوطين وشيعته.

فلسفة الرومان[٢٤]

سارت أبحاث المذاهب الفلسفية منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو فى اتجاهات ثلاثة: المنطق، الطبيعة، الأخلاق، وكانت المدارس الفلسفية الأولى فى أثينا تعنى بالمنطق والطبيعة أكثر من اهتمامها بالأخلاق، فلما امتزجت حضارة الرومان بحضارة الإغريق وقامت مدارس الفلسفة فى روما على غرار ما عرفته أثينا ظهرت محاولات للتوفيق بين المذاهب الفلسفية اليونانية فضلا عن السعى للاختيار من كل مذهب ما يتفق والبيئة الطبيعية والاجتماعية للرومان ومع ذلك فلم يقدم الرومان من خلال هذه المحاولات ما يُعد بجديد فى المذاهب الفلسفية بل ظهر واضحا للعيان التأثر أساسا بمذاهب ثلاثة رئيسية: مذهب الشك – Scepticism والإبيقوريين Epicureanism والأخلاقيين أو الرواقيين Stoicism. وهذه المذاهب الثلاثة اهتمت بالأخلاق أكثر من اهتمامها بالمنطق والطبيعة.

تأثير الإسكندر والرومان فى الفلسفة الإغريقية

ما لبثت أن تغيرت معالم الحياة فى أثينا بظهور الإسكندر الأكبر وما حققه فى تلك الفترة الوجيزة من حكمه من غزوات وفتوحات بلغت أبواب الهند ذلك أن حكم المدينة كما كانت الحال فى أثينا حل مقامه حكم وحدات سياسية أوسع نطاقا وأكثر امتدادا من حكم المدينة، وتأكد هذا الاتجاه فى الحكم بعد موت الإسكندر وتقسيم الإمبراطورية بين

قواده فاتسعت الهوة بين الحاكم وأفراد المجتمع وتقطعت أوصال الصلة التى كانت تربط بين الحاكم والمحكوم فى المدينة الصغيرة.

وبعد أن كان الاهتمام ينصرف إلى إسعاد المواطن الحر وتقرير الحقوق التى يجب أن يتمتع بها إذا بهذا الاهتمام يتحول عن المواطن الحر ويتجه إلى خدمة الفكر الحاكم وترتيب مجموعة من الحقوق التى تكفل له السيادة والاستمرار دون التفات إلى حقوق المواطن.

وفى هذا ما ينبئ بأن محور المذاهب الفلسفية قد تغير عند الإغريق فى ظل فتوحات الإسكندر ومن جاء بعده من قواد عما كان الأمر عليه فى ظل حكم أثينا الديمقراطى وقدر لهذا التحول أن يستمر فى اتجاهه الجديد بعد أن اضمحل حكم الإغريق وبدأت جحافل الرومان تكتسح كل الجيوش التى تقف فى طريقها وتواصل فتوحاتها فى الشرق والغرب حتى أصبح البحر المتوسط عام (١٨٨ ق.م.) بحيرة رومانية، وما لبثت اليونان عام (١٤٦ ق.م.) أن سقطت صريعة الغزو الرومانى وأمست إقليما من أقاليم الإمبراطورية الرومانية.

وإذا كانت اليونان قد نعمت ببعض الاستقرار وبقسط من السلام تحت الحكم الرومانى فإنها وجدت فى بادئ الأمر معارضة من جانب الرومان فى تقبل جوانب الحضارة الإغريقية والإفادة من تراثها، وعلى الرغم من أن اللغة اليونانية ظلت لغة الأدب والفنون فإن اللغة اللاتينية وهى لغة الغزاة (الرومان) أصبحت اللغة السائدة والدارجة فى مجال المعاملات فضلا عن أنها لغة القانون الذى فرضه الرومان.

روما والفلسفة الإغريقية

ما لبثت المعارضة للتراث اليونانى أن خفت على مر السنين وبدأ الرومان يدركون أهمية الحضارة الإغريقية وينهلون من منابعها فى جوانب الفكر المختلفة، ولعل أهم هذه الجوانب التى أفاضوا فى الاستزادة منها الفلسفة الإغريقية وسرعان ما انتقلت إلى روما مدارس الفلسفة الإغريقية التى سادت فى أثينا.

وقد ولع الشباب الرومانى ببعض اتجاهات هذه الفلسفة حتى أثارت انتباه الحكام ومن ذلك مدرسة السوفسطائيين التى انتهى بها الأمر إلى أن طُردت من روما بدعوى أنها تبلبل الفكر وتزعزع الرأى وتنشر الفتنة بين الشباب بما تثيره من جدل حول الفكر الحاكم.

ويبدو أن روما لم تدرك أن فلسفة أثينا فى ظل عصرها الذهبى الديمقراطى لا يمكن

أن تسـود فى ظل حكم الإمبراطورية التى يكاد ينفرد بالسـلطة فيها الفرد وينوب عنه فى السلطة نوابه فى الأقاليم.

وما من شـك فى أن هذا الاعتبار هو الذى كان وراء ظهور مذاهب فلسـفية جديدة عند الرومان أو التأثر بنوع دون غيره من مدارس الفلسفة الإغريقية فسادت مذاهب (الإبيقوريين والرواقيين والمتشككين).

❑❑❑

obeikandl.com

الفلسفة فى الحضارة الإسلامية

الفلسفة الإسلامية [٢٥]

لم ترد تلك الكلمة «الفلسفة» فى الفكر الإسلامى الحنيف سواء فى القرآن أو السنة النبوية ولكن الذى ورد كلمة الحكمة، والحكمة تعنى ما يصدر عن الرسول محمد ﷺ من أقوال أو أفعال، ومع تباعد الزمان والتأثر والتفاعل مع امتداد الدولة الإسلامية بدأ مصطلح الفلسفة كمصطلح عام يمكن تعريفه واستخدامه والتعبير عنه بطرق مختلفة.

فيمكن للمصطلح أن يُستخدم على أنه الفلسفة المستمدة من نصوص القرآن والأحاديث النبوية يقدم تصور الإسلام ورؤيته حول الكون والخلق والحياة والخالق، لكن الاستخدام الآخر يشمل جميع الأعمال والتصورات الفلسفية التى تم بحثها فى إطار الثقافة العربية الإسلامية، والحضارة الإسلامية تحت ظل الدولة الإسلامية الممتدة والمترامية الأطراف شرقا وغربا دون أى ضرورة أن يكون مرتبطا بحقائق دينية أو نصوص شرعية إسلامية، وفى بعض الأحيان تقدم الفلسفة الإسلامية على أنها كل عمل فلسفى قام به فلاسفة مسلمون وجميع تلك الأعمال الفلسفية يمكن أن تقدم رؤية شاملة لكل جوانب الفلسفة فى ظل الحضارة الإسلامية.

مفهوم الفلسفة فى الإسلام

الكلمة الأقرب لكلمة فلسفة هى كلمة «حكمة» وهى مستخدمة فى النصوص الإسلامية الأساسية القرآن والسنة النبوية لهذا نجد الكثير من الفلاسفة المسلمين يستخدمون كلمة «حكمة» كمرادف لكلمة «فلسفة» التى دخلت إلى الفكر العربى الإسلامى من الكلمة يونانية الأصل كما سبق ذلك وبينا ذلك فى بيان الحضارة الإغريقية.

وللفلسفة تعريفات عدة عند فلاسفة المسلمين منها ما ذكره الكندى: «إنها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان لأن غرض الفيلسوف فى علمه إصابة الحق وفى عمله العمل بالحق»، وإن ظلت كلمة فلسفة ضمن سياق الحضارة الإسلامية بقيت متأثرة بمفاهيم الفلسفة اليونانية، وعندما نحاول أن نتحدث عن فلسفة إسلامية كتصور كونى وبحث فى

طبيعة الحياة فإنها تشمل معها المدارس الأخرى تحت المسميات: علم الكلام وأصول الفقه وعلوم اللغة.

وأهم ما يواجه الباحث فى مجال الفلسفة أن كلا من هذه المدارس قد قام بتعريف الحكمة أو الفلسفة وفق رؤيته واهتماماته الخاصة، وفى مراحل لاحقة أدخل (المتصوفة) ولعل الباحث المدقق يلاحظ التشابه فى النطق بين كلمة الصوفية التى دخلت إلى العربية وكلمة سوفوس (Sophos) الإغريقية وهذه الكلمة حينما دخلت إلى العربية أصبح معناها الزهد فى الحياة.

وكثيرا ما استخدم العديد من أعلام الصوفية لقب (حكيم) لكبار شخصياتهم مثل الحكيم الترمذى بينما لقب فيلسوف – فلاسفة ظل حصرا على من عمل فى الفلسفة ضمن سياق الفلسفة اليونانية ومن هنا كان أهم جدل حول الفلسفة فى كتابى: (تهافت الفلاسفة للغزالى) و(تهافت التهافت لابن رشد).

و تغيّر النظر إلى مفهوم الفلسفة تبعا لتنوع الأجوبة على سؤال «ما الفلسفة؟» الذى قد يتحول نتيجة بزوغ فرع آخر فى الفلسفة وهو فلسفة الفلسفة أو فقه الفلسفة وكذلك تصنيف الفلسفة إلى فلسفة قديمة (فلسفة فى الوجود) وأخرى جديدة (فلسفة فى المعرفة).

بدايات الفلسفة الإسلامية

إذا تم اعتبار الفلسفة أنها محاولة بناء تصور ورؤية شمولية للكون والحياة فإن بدايات هذا الفكر فى الحضارة الإسلامية بدأ مبكرا فى الدولة الإسلامية بعلم الكلام، وفى القرن التاسع عندما أصبح المسلمون على اطلاع بالفلسفة اليونانية القديمة أدى ذلك إلى نشوء رعيل من الفلاسفة المسلمين الذين كانوا يختلفون عن علماء الكلام، وعلم الكلام يستند على النصوص الشرعية من قرآن وسنة وأساليب منطقية لغوية لمواجهة من يحاول الطعن فى حقائق الإسلام، فى حين أن الفلاسفة المشائين وهم الفلاسفة المسلمين الذين تبنوا الفلسفة اليونانية كان مرجعهم الأول هو التصور الأرسطى أو التصور الأفلوطينى الذى يعتبرونه متوافقا مع نصوص وروح الإسلام من خلال محاولتهم لاستخدام المنطق لتحليل ما اعتبروه قوانين كونية ثابتة ناشئة من إرادة الله وقاموا بمحاولات توفيقية لتقليل الهوة الموجودة فى التصور لطبيعة الخالق بين المفهوم الإسلامى للرب والمفهوم الفلسفى اليونانى للمبدأ الأول أو العقل الأول.

تطورت الفلسفة الإسلامية من مرحلة دراسة المسائل التى لا تُثبت إلا بالنقل والتعبّد إلى مرحلة دراسة المسائل التى ينحصر إثباتها بالأدلة العقلية، ولكن النقطة المشتركة عبر هذا الامتداد التاريخى كان معرفة الله وإثبات الخالق، وبلغ هذا الاتجاه الفلسفى منعطفا مهما على فكر ابن رشد من خلال تمسكه بمبدأ الفكر الحر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة، وأول من برز من فلاسفة العرب كان الكندى الذى يُلقب بالمعلم الأول عند العرب والفارابى الذى تبنى الكثير من الفكر الأرسطى من العقل الفعال وقدم العالم ومفهوم اللغة الطبيعية.

أسس الفارابى مدرسة فكرية كان من أهم أعلامها : الأميرى والسجستانى والتوحيدى، وكان الغزالى هو من أقام صلحا بين المنطق والعلوم الإسلامية حين بين أن أساليب المنطق اليونانى يمكن أن تكون محايدة ومنفصلة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية (ميتافيزيقا – علم ما وراء الطبيعة metaphysics) توسع الغزالى فى شرح المنطق واستخدمه فى علم أصول الفقه لكنه وفى المقابل شن هجوما على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين المشائين فى كتاب «تهافت الفلاسفة» ، ورد عليه لاحقا ابن رشد فى كتاب تهافت التهافت.

وكان هناك اتجاه يرفض الخوض فى مسائل البحث فى الإلهيات وطبيعة الخالق والمخلوق والاكتفاء بما هو وارد فى نصوص الكتاب والسنة، هذا التيار الذى يُعرف «بأهل الحديث» والذى يُنسب له معظم من عمل بالفقه الإسلامى، وهناك بعض التيارات التى ترى أنه لا يوجد فلاسفة للإسلام ولا يصح إطلاق هذه العبارة فالإسلام له علماؤه الذين يتبعون الكتاب والسنة أما من اشتغل بالفلسفة فهو من المبتدعة والضلال.

وفى مرحلة متأخرة من الحضارة الإسلامية ظهرت حركة نقدية للفلسفة أهم أعلامها : ابن تيمية الذى يُعتبر أنه معارض تام للفلسفة وأحد أعلام مدرسة الحديث الرافضة لكل عمل فلسفى.

لكن محاولة ابن تيمية وردوده على أساليب المنطق اليونانى ومحاولته بيان علاقته بالتصورات الميتافيزيقية اعتبرها بعض الباحثين العرب المعاصرين بمثابة نقد للفلسفة اليونانية وليس لكونه مجرد رافضا لها حيث إن نقده مبنى على دراسة عميقة لأساليب المنطق والفلسفة ومحاولة لبناء فلسفة نوعية جديدة.

التناقض مع الفلسفة اليونانية

رسم عربى يعود للقرن الثالث عشر
يصور سقراط فى نقاش مع تلاميذه

كان مفهوم الخالق الأعظم لدى الفلاسفة اليونانيين يختلف عن مفهوم الديانات التوحيدية؛ فالخالق الأعظم فى منظور أرسطو وأفلاطون لم يكن على اطلاع أو علم بكل شىء ولم يظهر نفسه للبشر عبر التاريخ ولم يخلق الكون وسوف لن يحاسبهم عند الزوال وكان أرسطو يعتبر فكرة الدين فكرة لا ترتقى إلى مستوى الفلسفة.

وكما سبق وتم بيان ذلك فى الفلسفة الإغريقية – اليونانية فإن الفلسفة اليونانية القديمة تكونت فى مرحلتين:

الأولى: مرحلة ما قبل سقراط التى اتسمت برفضها للتحليلات التقليدية للظواهر الطبيعية.

وكان نوع التساؤل فى حينها (من أين أتى كل شىء؟) وهل يمكن وصف الطبيعة باستعمال قوانين الرياضيات؟ وكان من أشهر هؤلاء عالم الرياضيات «طاليس» الذى يعتبره البعض أول فيلسوف يونانى حاول إيجاد تفسيرات طبيعية للكون والحياة لا علاقة لها بقوى إلهية خارقة حيث قال إن الزلازل ليس من صنيعة إله وإنما بسبب كون الأرض اليابسة محاطة بالمياه، وكان الفيلسوف أناكسيماندر من ضمن هذا الرعيل وكان يؤمن بالقياسات والتجربة والتحليل المنطقى للظواهر وكان يعتقد أن بداية كل شىء هى كينونة لا متناهية وغير قابلة للزوال وتتجدد باستمرار، ومن الفلاسفة الآخرين فى هذا الجيل: بارمنيدس، ديمقراطيس، أناكسيمين، وميلتوسى.

والثانية: مرحلة سقراط وما بعده والتى تميزت باستعمال طريقة الجدل والمناقشة فى الوصول إلى تعريف وتحليل وصياغة أفكار جديدة وكان هذا الجدل عادة ما يتم بين طرفين يطرح كل طرف فيهما نظرته بقبول أو رفض فكرة معينة وبالرغم من أن سقراط نفسه لم يكتب شيئا ملموسا فإن طريقته أثرت بشكل كبير فى كتابات تلميذه أفلاطون ومن بعده أرسطو.

ومـن وجهة نظـر أفلاطون فإن هناك فرقـا جوهريا بين المعرفة والإيمـان فالمعرفة هى الحقيقـة الخالـدة، أما الإيمان فهو احتمالية مؤقتة أما أرسـطو فقد رأى أنه لمعرفة وجود شـيء ما علينا معرفة سـبب وجوده أو كينونته، فكرة الخالق الأعظم حسب أرسطو فكرة التكامل والمعرفة على عكس فكرة المخلوق الباحث عن الكمال ولتوضيح فكرته أورد أرسطو مثال التمثال وقال إن هناك أربعة أنواع من أسـباب وجود التمثال أسباب مادية مردها إلى المادة التى صُنع منها التمثال. أسباب غرضية مردها إلى الغرض الرئيسى من صنع التمثال أسـباب حرفية مردها الشـخص الذى قام بصنع التمثال. أسباب إرضائية مردها الحصول على رضا الشخص الذى سيشترى التمثال.

اسـتفاد أرسطو من نظرية سقراط القائلة بأن كل شيء غرضه مفيد لابد أن يكون نتيجة لفكرة تتسـم بالذكاء، واسـتنادا إلى هذه الفكرة اسـتنتج أرسطو أن الحركة وإن كانت تبدو عملية لا متناهية فإن مصدرها الثبات وإن هذه الكينونة الثابتة هى التى حولت الثبات إلى حركة، وهذه الكينونة الأولية هَى انطباع أرسـطو عن فكرة الخالق الأعظم لكن أرسـطو لم يتعمق فى كيفية وغرض منشأ الكون من الأساس.

الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية المبكرة

فـى العصر الراقى للدولة العباسـية وتحديـدا فى عصر المأمون بـدأت الترجمة ونقل العلوم الإغريقية إلى العربية مما مهد لانتشـار الفكر الفلسـفى اليونانى بشكل كبير وكانت المدرسة الفلسفية الأكثر شيوعا هى المدرسة الأفلاطونية التى كان لها أكبر الأثر فى الساحة الإسلامية فى ذلك الوقت.

وقـد حاولـت الفلسـفة الأفلاطونية المحدثة التـى أحدثها أفلوطين الدمـج بين الفكر الأرسطى والأفلاطونى والتوفيق بينهما ضمن إطار معرفى واحد وتصور وحيد لعالم ما تحت القمـر وما فوق القمر، والأفلاطونية المحدثة أيضا ترتبط ارتباطا وثيقا بالمفاهيم التى تتوافق مع بعض أفكار الديانات الشرقية القديمة وتجلت فى أفكار أخوان الصفا فى رسائلهم والتى شكلت الإطار الفكرى المرجعى للفكر الباطنى أو الغيبى.

ولاحقا بدأت تظهر من جديد عملية فصل للمدرستين الأفلاطونية والأرسطية حيث ظهر

العديد من المتأثرين بقوة ببناء النظام الفكرى الأرسطى وقوة منطقه واستنتاجه، وكان من أهم شارحى وناشرى المدرسة الأرسطية هو ابن رشد.

الهرمسية والأفلاطونية المحدثة

أول ما وُجد فى منطقة الشرق الأدنى سوريا والعراق ومصر بعد دخول الإسلام من دراسات فلسفية كانت الثقافة التى تسيطر عليها الأفلاطونية المحدثة إضافة إلى الهرمسية التى كانت مختلطة بجماعات الصابئة فى حران وأفكار المانوية والزرادشتية، وتشكل الهرمسية والأفلاطونية المحدثة مجموعة رؤى هرمسية وإطار فلسفى لرؤية كونية.

تنتسب الهرمسية كعلوم وفلسفة دينية إلى هرمس مثلث الحكمة الناطق باسم الإله وبشكل عام تقدم الرؤية الهرمسية تصورا بسيطا عبارة عن إله متعال منزه عن كل نقص ولا تدركه الأبصار ولا العقول، وفى مقابله توجد المادة وهى أصل الفوضى والشر، وأما الإنسان فهو مزيج جسم مادى يسكنه الشر ويلابسه الموت وجزء شريف أصله من العقل الكلى الهادى وهو النفس الشريفة ويتصارع فى الإنسان الجزءان.

فلسفة أرسطو والترجمة العربية

رسم من القرون الوسطى لـ أرسطو.

لم يدخل أرسطو إلى الساحة العربية الإسلامية إلا بعد حملة الترجمة التى تمت فى فترة الحاكم العباسى المأمون، وتذكر المصادر أن أول كتاب تمت ترجمته لأرسطو كان كتاب «السماء والعالم» من قبل يوحنا بن البطريق عام ٢٠٠ هـ لكن حنين ابن إسحاق اضطر إلى إعادة ترجمته عام ٢٦٠ هـ ويمكن اعتبار بداية دخول أرسطو تمت على يد حنين وابنه إسحاق سنة ٢٩٨ هـ أما أرسطو المنحول غير الحقيقى فقد دخل عن طريق كتاب «أتولوجيا» الذى ترجمه ابن ناعمة الحمصى عام ٢٢٠ هـ ، ويبدو أن ابن المقفع وابنه محمد قد قاما أيضا بترجمة بعض كتب أرسطو مثل كتاب «الأرغانون» وكتاب «التحليلات الأولى» وكتاب «المنطق لفورفوريوس» ، ويؤكد بول كراوس أنه لم يتم خلال الفترة الأولى قبل المأمون ترجمة

أى شـــىء عـــدا الأجزاء الثلاثـــة الأولى من الأرغانون التى تتناول المنطق فقط دون الفلســـفة والطبيعة لكن حركة الترجمة فى عصر المأمون مدت ذلك لتشمل كتب أرسطو غير المنطقية، وكتـــاب «التحليلات الثانية» أو «البرهـــان» لم يُترجم للعربية إلا فى القرن الرابع الهجرى بمعرفة أبى بشر متى عام ٣٢٨ هـ.

تاريخ الفلسفة فى العالم الإسلامى

علم الكلام والمعتزلة

علم الكلام كان علما مختصا بموضوع الإيمان العقلى بالله وكان غرضه الانتقال بالمســـلم من التقليد إلى اليقين وإثبات أصول الدين الإســـلامى بالأدلة المفيدة لليقين بها، وفيما ورد أن بداية علم الكلام سببها ظهور فرق عديدة الرؤى والأفكار وهذه الفرق: المعتزلة، الجهمية (الجبريـــة) أتباع الجهم بن صفوان، الخوارج، الأشـــاعرة، الماتريدية، الصوفية، المرجئة، (يأولـــون بعـــض الأسماء والصفات) الإماميـــة، الزيدية، الإسماعيلية، العلوية، الشـــيعة، الإباضيـــة، سُمى الإباضية بهذا الاســـم نســـبة إلى (عبد الله بن أباض التميمى) والمؤســـس للمذهب الإباضى هو جابر بن زيد.

دور الكندى فى الفلسفة

هو يعقوب بن إسحاق الكندى (٨٠٥-٨٧٣ م) وقد حاول استعمال المنهج المنطقى.. نشأ الكندى فى البصرة واستقر فى بغداد وحظى برعاية الحاكم العباسى المأمون وكانت اهتمامات الكندى متنوعة: كالرياضيات والعلم والفلســـفة، وكان للكندى خطوة إضافية نحو دراســـة الفلســـفة اليونانية، وفى عصر الحاكم العباسى المعتصم يحاول الكندى أن يخـــوض فى معركة «نصرة العقـــل» ضد أفكار الهرمســـية والأفلاطونية المحدثة ويؤلف «للرد على الشـــبهات» ويرفض نظرية الهرمســـية والأفلاطونية المحدثة عن وجود جملة من العقول الســـماوية، ويقرر الكندى أن الحقيقة الدينية والحقيقة الفلســـفية واحدة فلا تناقض بينهما، ويؤلف الكندى «رســـالة فى الفلســـفة الأولى» ليهديها إلى المعتصم وهى بمجملها تخطئة لموقف المتكلمين من الأوائل (الفلاســـفة) وكذلك الدعوة إلى الاستفادة لما ورد فى علوم الأوائل من علوم مفيدة.

دور الرازى فى الفلسفة

رسم يصور أبو بكر الرازى

تميــز الجيل الذى ظهر بعد الكندى بصفة أكثر حزما فكان أبو بكر الــرازى (٨٦٤–٩٢٣م) الذى وُصف بكونه ذو تيار فكرى يرفض نظرة أرسطو للميتافيزيقا ورفض فى الوقت نفسه تحاليل علماء الكلام عن الوحى والنبوة.

كان الــرازى مقتنعا أن التحليــل العقلى والمنطقى هو الطريق الوحيد للوصــول إلى المعرفة وعليه فإن الكثير من المؤرخــين يعتبرون الرازى الانعطافة الحقيقية الأولى نحو الفلسفة والفيلسوف.

كان الــرازى طبيبــا بارعا ومديرا لمستشــفى فى الرى فــى إيران وكان جريئا فى مناقشــة التيــار الفكرى الذى سبقه وكان مؤمنــا أن الفيلسوف الحقيقى لا يستند إلى تقاليد دينية بل يجب عليه التفكير بمنآى عن تأثير الدين، وكان مقتنعا إن الاعتماد على الدين غير مثمر لاختلاف الأديان فى وجهات النظر حول الخلق وماهية الحقيقة.

أكبر نقد تم توجيهه إلى الرازى كان نقدا عميقا بالرغم من بساطته وهو إذا كانت الفلسفة الطريقة الوحيدة للوصول إلى الحقيقة فماذا عن عامة الناس أو الناس البسطاء غير القادرين على التفكير الفلســفى، هل يعنى هذا بأنهم تائهون للأبد؟! تأتى أهمية هذا النقد بســبب كون الفلســفة فى المجتمع وإلى هذا اليوم مرتبطة بطبقة النخبة وبأشــخاص اتســموا بذكاء عالٍ حســب هذا النقد وهذا كان مناقضا لمفهوم الأمة الإســلامية الواحدة والأفكار الروحية المفهومة من قبل الجميع وليس البعض.

دور الفارابى فى الفلسفة

هو أبو نصر محمد الفارابى (٨٧٤–٩٥٠ م) الفيلســوف من تركســتان، بدأ الفارابى من نقطة الانتقاد الموجهة للرازى وللفلسفة بصورة عامة وكان النقد عبارة عن فائدة الفلسفة فى تنظيم الحياة اليومية وذلك للإنســان البســيط الذى يرى الفلسفة شيئا بعيدا كل البعد عن مســتوى اســتيعابه ولا يجد فى ذلك النوع من المناقشات أى دور عملى ملموس فى حياته

اليومية فحاول الفارابى تضييق حجم الفجوة بين الإنسان البسيط والفلسفة ولذلك يعتبره البعض رائدا فى هذا المجال حيث حاول فى كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة» .

التطرق إلى القضايا الاجتماعية والسياسية، وفى كتاب «الجمهورية» حيث طرح أفلاطون فكرة أن المجتمع المثالى يجب أن يكون قائده فيلسوفا يحكم حسب قوانين العقل والمنطق ويبسطها لتصبح مفهومة من قبل الإنسان البسيط.

رسم عربى لـ أبو نصر محمد الفارابى

ومن هذه الفكرة حاول الفارابى أن يطرح فكرته وهى أن الرسول محمد ﷺ كان بالضبط ما حاول أفلاطون أن يوضحه عن صفات قائد «المجتمع الفاضل» لقدرته حسب تعبير الفارابى على تبسيط قيم روحية عُليا وإيصالها إلى الإنسان البسيط.

بهذه النظرة ابتعد الفارابى عن مفهوم الخالق فى الفلسفة اليونانية الذى كان بعيدا كل البعد عن هموم الإنسان البسيط والذى لم يخاطب الإنسان يوما، ولكن الفارابى ظل ملتقيا مع فكر أرسطو فى أن قرار الخلق لم يكن عبثيا ولا متسرعا.

الكثير من الدراسات تعتبر الفارابى أهم من استطاع إيصال وشرح علوم المنطق بالعربية وفى ظل دول وإمارات إسلامية متفرقة وتحديدا إمارة الدولة الحمدانية، كان الفارابى يتطلع للتقارب بين الشريعة والفلسفة فى كتاب الحروف ويحاول أن يجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون وأرسطو فى كتاب الجمع بين الحكيمين وكما تتقارب الفلسفة مع الشريعة كذلك يجب أن تُبنى المدينة الفاضلة على غرار تركيب الكون والعالم بحيث بتحقق النظام والسعادة للجميع.. هذا كان حلم الفارابى المقتبس من فكرة المدينة الفاضلة لأفلاطون.

مدارس متعلقة بالفلسفة

● **صدر الدين الشيرازى** وقد أضاف عددا من المسائل الفلسفية من خلال إحداثه لمدرسته المسمّاة الحكمة المتعالية.

- **المذهب الإسماعيلى.**
- **الباطنية** وهى فرقة كانت الفكرة الرئيسية لها علم الباطن وهو معرفة الأبعاد الخفية للدين وكانت الوسيلة الرئيسية هى التأويل.
- **إخـوان الصفا** وهى جماعة فى البصـرة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى وكانـت اهتمامات هذه الجماعة متنوعة وتمتد من العلم والرياضيات إلى الفلك والسياسـة، وقاموا بكتابة فلسـفتهم عن طريق ٥٢ رسـالة ذاع صيتها فى الأندلس، ويعتبر البعض هذه الرسـائل بمثابة موسوعة للعلوم الفلسفية، تأثرت رسـائل إخوان الصفا بالفلسفة اليونانية والفارسـية والهندية وبمن يملكون القدرة على دفع العناد والخلاف بالرفق واللطف المؤدّى إلى إصلاحـه ويمثل هؤلاء القوة الناموسـية الـواردة بعد بلوغ الإنسـان الأربعين من العمر ويُسمّوْن بالفضلاء الكرام وهم الملوك والسلاطين.

دور ابن سينا فى الفلسفة

رسم فارسى لـ ابن سينا الطبيب الفيلسوف

ابـن سـينا (٩٨٠ – ١٠٣٧م) ولـد لعائلـة شـيعية فى إحدى قرى «بخـارى»، وقد وصلت الفلسـفة الإسـلامية إلى إحـدى قممهـا على يد ابن سـينا حيث تأثر منذ صغره بفلسفة الفارابى والأفلاطونية المحدثة، أدرك ابن سينا أن الفلسفة بحاجة إلى التأقلم مع متغيرات الدولة الإسلامية، تلـك الدولـة التى أصبح فيها الحاكـم بعيدا كل البعد عن صفات قائـد المدينة الفاضلة التى دعى إليها أفلاطـون واعتبرها الفارابى مطابقة لصفات الرسول محمد.

كان ابن سـينا مقتنعا أن الرسـول محمد هو أرفع شأنا من الفيلسوف لكونه معتمدا على الاتصال المباشـر بالمعرفة الإلهية، ولكنه كان معاديا لفكرة الإيمان الأعمى حيث كان ابن سـينا متأثرا بفكر أرسطو باسـتعمال العقل والمنطق والأدلة للوصول إلى ماهية الخالق، بل اعتبر ابن سينا استعمال هذه الوسائل واجبة لكى يحرر الإنسان فكره من الخرافة والأساطير.

كان ابن سينا موافقا لفكر أرسطو وهو أن الحركة وإن كانت تبدو عملية لا متناهية فإن مصدرها الثبات وإن هذه الكينونة الثابتة هى التى حولت الثبات إلى حركة، وفى سنواته الأخيرة انكب ابن سينا على كتابة كتابه: «الإشارات» ويمثل مدرسته الفلسفية.

دور الغزالى فى الفلسفة

رسم عربى تخيّلى
لـ أبى حامد الغزّالى

أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (١٠٥٨ – ١١١١م) بدأ التعمق فى فائدة التحليل المنطقى والعقلى الفلسفى من الأساس فى إثبات أو نفى الخالق، كان أبو حامد الغزالى باحثا من الطراز الرفيع حيث تولى وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره إدارة المدرسة النظامية فى بغداد.

وكان الهدف الرئيسى للوزير السلجوقى واسمه نظام الملك من هذا التعيين هو قيام أبوحامد الغزالى بالتصدى للفكر الإسماعيلى لكن طموح أبو حامد الغزالى لم يتوقف عند هذه الرغبة الضيقة للوزير السلجوقى حيث إن بحثه عن اليقين المطلق بطبيعة الخالق دفعه إلى التعمق فى دراسة جميع المذاهب الفكرية والتوجهات الفلسفية وانتهى به البحث إلى استنتاج أن جميع الفلسفات والمدارس الفكرية السابقة قد فشلت فى إثبات وجود الخالق لكون فكرة الخالق غير خاضعة للقياس من الأساس، وأعلن فى كتابه «تهافت الفلاسفة» فشل الفلسفة فى إيجاد جواب لطبيعة الخالق وصرح أن الفلسفة يجب أن تبقى مواضيع اهتماماتها فى المسائل القابلة للقياس والملاحظة مثل: الرياضيات، الفلك، الطب.. واعتبر أبو حامد الغزالى محاولة الفلاسفة إدراك شىء غير قابل للإدراك بحواس الإنسان منافيا لمفهوم الفلسفة من الأساس.

كان لتعمق الغزالى فى دراسة التيارات الفكرية والفلسفية السابقة دورا سلبيا فبدلا من اقترابه نحو اليقين بالخالق زاد اقترابه من الشك وانتهى به الأمر بالإصابة بمرض الكآبة وترك مهنة التدريس.

وكان فى تلك الفترة من حياته مقتنعا أن الدليل الوحيد للوصول إلى اليقين بشأن وجود

الخالــق هــو ملاقاته وجها لوجه بعد الموت وبدأ الغــزالى يقتنع إن هناك جانبا روحيا غير ملموس فى الإنسان وأن هناك فصلا واضحا بين: «عالم الشهادة» الظاهر للعين والمحسوس والخاضع لقوانين الفيزياء، و«عالم الملكوت» وهو المعنوى وغير الملموس.

انتهى الغزالى إلى أنه من المستحيل تطبيق قوانين الجزء المرئى من الإنسان لفهم طبيعة الجزء المعنوى وعليه فإن الوســيلة المثلى لفهم الجانب الروحى يجب أن تتم بوســائل غير فيزيائيــة واختار الغزالى طريق التصوف للوصول إلى اليقين بوجود الخالق أثناء الحياة بدلا من الانتظار إلى ما بعد الموت للوصول إلى تلك الحقيقة.

ويظهر الطابع الصوفى للغزالى جليا فى كتابه «مشكاة الأنوار» حيث قال الغزالى إن النور الأعظم من كل نور هو الله (سبحانه وتعالى) وهذا النور أعظم من كل جسم مضىء آخر مثل المشكاة والنجوم، وضوء العقل المستنير قادر على عبور حاجز الزمن والفضاء ليرى هذا النور الأعظم وكان الغزالى يقصد بالعقل المســتنير العقل القــادر على التخيل والتصور وإدراك أن الجانب الروحى يتطلب نظرة غير حرفية وغير فيزيائية لفهم هذا الجانب.

وبهــذا المنظور ألغى الغزالى أى دور للفلســفة فى إثبــات أو عدم إثبات وجود الخالق من خلال طرحه الفكرى أنه لا يمكن استعمال الفلسفة فى الوصول إلى اليقين الذى لا يقبل الجدل حول ماهية الله، ففكرة الله كانت حسب نظره واقعة خارج نطاق التفكير المنطقى ولكن هذا التصريح المبنى على هذا المنظور لم يكن نهاية الفلســفة حيث قام ابن رشد من قرطبة بإحياء دور الفلسفة فى الوصول إلى معرفة الله حيث اعتبر ابن رشد الفلسفة أعلى مراتب التدين.

دور ابن رشد فى الفلسفة

ابن رشد (١١٢٦ – ١١٩٨م) من الناحية التاريخية وحول ابن رشد كان هناك خلاف فى الفكر بينه وبين المفكرين المعاصرين له.

وقد اعتبره الغرب من أهم الفلاســفة المســلمين على الإطــلاق حيــث ترجمت أعمالــه إلى اللاتينيــة العبرية وأثرت أفكاره بشــكل واضح فى كتابات الفلاسفة ومنهم تومــاس أكوينــاس (١٢٢٥ – ١٢٧٤ م) وألبرت الكبير (١٢٠٦ – ١٢٨٠ م) وإرنست رينان (١٨٢٣ – ١٨٩٢م).

لوحة تظهر ابن رشد
من أعمال الفنان الإيطالى أندريا دا فيرنزى
(فلورانسا القرن الرابع عشر).

بينما لم يلق ابن رشد الاهتمام نفسه من المعاصرين له حيث فضل الفيلسوفان المعاصران له يحيى السهروردى ومؤيد الدين العربى اتباع منهج ابن سينا بدلا من منهج ابن رشد.

كان ابن رشد متعمقا فى الشريعة الإسلامية بحكم منصبه كقاضى إشبيلية وحاول التقريب بين فلسفة أرسطو والعقيدة الإسلامية، حيث كان ابن رشد مقتنعا أنه لا يوجد تناقض على الإطلاق بين الدين والفلسفة وأن كلاهما يبحث عن الحقيقة نفسها، وقام بالرد على كتاب «تهافت الفلاسفة» للغزالى فى كتابه: «تهافت التهافت» وأصر على عكس الغزالى على قدرة الفلسفة بإيصال الإنسان إلى اليقين الذى لا يقبل الجدل حول ماهية الله.

ونبه ابن رشد إلى أن الفلسفة وعلم الكلام والصوفية والباطنية وغيرها من التيارات الفكرية تشكل خطرا على الأشخاص الذين ليس لهم القدرة على التفكير الفلسفى وأن الشخص غير المتعمق أو الذى يأخذ بسطح الفكرة يتعرض إلى صراعات نفسية تؤدى به إلى الشك والتشتت بدلا من اليقين والتثبت.

وفى محاولة ابن رشد لتضييق الفجوة بين الدين والفلسفة طرح ابن رشد رأيه حول أفضل وسيلة لتفسير الدين والخالق من وجهة نظر فلسفية فقال إن على الفيلسوف القبول ببعض الأفكار الدينية لكى يصبح فعالا فى الوصول إلى طبيعة الخالق، ومن هذه الأفكار وجود الله وحدانية الله كون الله فريدا من نوعه «عدالة الله، خلق الله للكون الحياة بعد الموت».

❑❑❑

الفلسفة فى الحضارة الغربية (الأوربية)

يمكن تشبيه تتابع الحضارات بتتابع أدوار البناء ترتكز وتقوم بعضها على بعض وعلى هذا التشبيه فإن أفلاطون وسقراط وأرسطو من الحضارة اليونانية كانوا هم الأعضاء المؤسسين للفلسفة الغربية[٢٦].

الحضارة الغربية

مصطلح الحضارة الغربية يشير إلى ثقافات القارة الأوربية، وتعود جذور شعوب هذه القارة حسب الاجتهادات التاريخية إلى عدة من آلاف السنين قبل الميلاد حيث تم اكتشاف حرفة الزراعة على ضفاف نهرى الفرات ودجلة بالعراق وكذلك حاليا الأردن، ومنها انتشرت إلى القارة الأوربية. والثقافة الأوربية المتطورة ضمن الحدود الجغرافية للقارة بدأت من اليونان ثم قويت وانتشرت على يد الرومان وبعد ذلك تم صياغتها وطُورت خلال عصر النهضة فى القرن الخامس عشر وانتشرت عالميا بفعل الإمبراطوريات الاستعمارية والتى نشرت ثقافة ونمط حياة الأوربيين خلال فترة القرن السادس عشر والقرن العشرين، وتطورت تلك الثقافة لتشمل مجالات متكاملة من الفلسفة، التربية، والتعليم خلال العصور الوسطى ومن تطور الديانة المسيحية بشكل خاص وازدهار العلوم الإنسانية.

وفى القرون التالية كان التطور الجذرى فى طرق التفكير المنطقى وانفتاح العقل والتنوير وظهور مبادئ ومصطلحات جديدة مثل الديمقراطية ورومانسية النظام الاجتماعى. والثقافة الغربية قد تواصلت مع ثقافات أخرى مما أدى إلى تأثير متبادل بين تلك الثقافات.

و«الثقافة الغربية» وهى مجموعة التراث الثقافى من المبادئ الإجتماعية الأخلاقية والعادات والتقاليد المحلية والمعتقدات الدينية والأنظمة السياسية والآثار والأعمال التاريخية والتقنية، تقوم على عدة جوانب:

- النتاج الثقافى لحضارات الإغريق والرومان وعصر النهضة وتشمل الأعمال الفنية والفلسفية والأدبية والقوانين والتقاليد الشعبية والتأثير الثقافى المكتسب من هجرة الجماعات العرقية الأخرى مثل السلاف الألمان الغجر وغيرهم من الشعوب وتأثير العالم الإسلامى المباشر فى تلك الثقافات.

- تأثير الثقافة المسيحية الإنجيلية فى طرق الحياة اليومية من الإيمان الروحى والأسرة والملبس والمأكل والعادات والتقاليد الشعبية إضافة إلى مبادئ الأخلاق وخاصة فى فترة ما بعد العصور الوسطى. كما شكلت حياة وتعاليم يسوع والتى كانت مصادرها الرسميّة الكتاب المقدس والوصايا العشرة أساس عقيدة المسيحية وأحد أهم المؤثرات فى الحضارة الغربية بمختلف فروعها.
- تأثير ثقافة أوربا الغربية والتى تشمل التأثير الفنى، الموسيقى، الأخلاقى، والعادات المتناقلة شفويا خاصة الرومانسية.

تطور الحضارة الغربية

فى فترة العصور القديمة لم تكن الحضارة الغربية ذات تميز أو أثر، وبحكم أنها تطورت من الشرق الأوسط وبلاد اليونان فإن أثر تلك المناطق كان كبيرا فيها سقطت وبعد فترة ظهر الإسلام وسقطت معظم مناطق الإمبراطورية الرومانية وتراجع تأثير الحضارة اليونانية فى الحضارة الغربية.

وتاريخيا لم تكن الحضارة الغربية ثابتة أو مستقرة ومفهوم «ما هو الغرب؟!» نشأ بعد تفكك الإمبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية البيزنطية إلى دويلات أصغر، ولاحقا بظهور مفهوم العالم المسيحى وظهور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفى الوقت الحاضر الفكرة العامة عن الثقافة الغربية تشمل مفاهيم العالم اليونانى- رومانى، والعالم اليهودى- المسيحى بالإضافة لأفكار عصرى النهضة والتنوير.

الغرب فى العصور الوسطى

كانت المسيحية الدين السائد فى فترة العصور الوسطى بطابعه «اللاتينى» و«الفرنجى» ذو الديانة الكاثوليكية، حيث كان الشرق على الأورثوذوكسية ذات اللغة اليونانية كلغة رسمية وبعد تنصيب شارلمان ملكا على الجزء الغربى عُرفت المنطقة باسم بلاد الفرنجة من قبل جيرانهم البيزنطيين والمسلمين.

وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية فى روما كانت معظم الأعمال الأدبية والفنية اليونانية- رومانية فى خطر الزوال وكانت محصورة فى حدود منطقة إيطاليا مما يجعلها مركز الغرب الجديد إذ عانت أوربا من الانقسام السياسى وظهور الممالك والإمارات،

وتحت سلطة الـمُلك ظهر نظام الإقطاعية كمظهر من مظاهر ذلك العصر وقد نُصب شارلمان إمبراطورا على الروم من قبل البابا عام (٨٠٠ م) ، وتخلل فترة حكم شـارلمان ظهور أفكار النهضة وإحياء الفن والدين والأدب فى مركز الكنيسـة الكاثوليكية عبر سياسـة شـارلمان الداخلية والخارجية، وساعد هذا الاتجاه على إعادة تشكيل الغرب وإضافة السمات المميزة للعصور الوسـطى. وقد عُرف شـارلمان من قبل الفرنسيين باسم «شـارل الأول» وفى ألمانيا باسم «كارل الأكبر»، ورأس شـارلمان الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وبإعادة الإمبراطورية الرومانية الغربية للحياة من جديد شكلت خطرا على جارتها الشرقية القسطنطينية وتوترت العلاقة بين القسطنطينية وروما.

والكثـير من الأسـس الثقافية (الفلسـفية) للعالم ما قبل الرومانـى كانت موضوعة قبل سـقوط إمبراطوريـة رومـا القديمة وقد تم إعادة تشـكيلها من قبل المسـيحية حيث حلت المسيحية مكان ديانات روما الوثنية في القرنين الخامس والسادس وأصبحت الدين الرسمى للإمبراطورية وذلك بعد تعميد الإمبراطور قسـطنطين الأول وكان ذلك سببا فى توحيد أبناء شعب الإمبراطورية الغربية.

أصبحت العلوم والفنون والأدب تدرس حصرا فى الكنيسـة مما شكل أحد أسباب عدم اندثارها، وأسسـت الكنيسـة العديد من الأديرة والكاتدرائيـات والجامعات ومدارس علم اللاهـوت فى فترة القرون الوسـطى والعديد منها قد بقى حتـى الوقت الحاضر وفى ذلك الوقت كانت الكنيسـة هى الوسيلة للعديد من الرجال للوصول إلى السلطة ولمراكز القوة مما يدل على تأثير سلطة الكنيسة الواسع فى أوربا آنذاك.

وفـى ظل تطور فلسـفة العقل فى اليونـان وتأثير الديانات التوحيدية فى بلاد الشـام وخاصة الإسـلام بدأت قوة العالم الإسلامى الثقافية تؤثر فى أوربا، وبعد انحسار الاهتمام بالعلـوم والآداب اليونانية فى أوربا خاصة بعد سـقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وفى البقاع التى اعتنقت المسـيحية سـابقا لكنها لم تكن تحت سلطة الإمبراطورية مثل إيرلندا قام الإمبراطور الشـرقى جستنيان الأول آخر الأباطرة الشرقيين الذين تكلموا اليونانية كلغة رسميـة بإغلاق الأكاديمية عام (٥٢٩م)، تلك الأكاديمية التى تهتم بالعلوم والآداب حيث يُتخذ عادة هذا التاريخ كنهاية العصور القديمة.

وقد تمت المحافظة على التاريخ القديم الكلاسـيكى من الإمبراطورية البيزنطية وخاصة فى العاصمة القسطنطينية والتى صمدت لألف عام وذلك قبل سقوطها بيد الأتراك العثمانيين

وتم الحفاظ على العمل بقانون جستنيان وخاصة فى إدارة العلاقات التجارية والسياسية بين القسطنطينية ودول وممالك الغرب مثل البندقية.

وتم الحفاظ على الثقافة اليونانية والتوسع بها حتى بعد ازدهار الثقافة الإسلامية والتى حلت تدريجيا محل التأثير الروماني- البيزنطى فى مناطق البحر المتوسط وشمال إفريقيا وإيبيريا، وقد امتدت حتى حدود اليونان وأصبحت هى الثقافة المسيطرة على تلك المنطقة فى مناطق العالم الغربى البعيدة.

وتمت إعادة الاعتبار للثقافات اليونانية والرومانية القديمة خاصة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وذلك من قبل بعض المؤرخين ودعاة الدين المسيحى الإيرلنديين مثل القديس كولومبا عن طريق نشر الدين المسيحى والتعاليم باللغة اللاتينية خلال أوائل فترة العصور الوسطى، وبفضل البيزنطيين والمسلمين أواخر فترة العصور الوسطى ومن خلال عصر النهضة.

وبعد اكتشاف العالم الجديد للمكتشف كريستوفر كولومبوس وإعادة العمل بقانون جستنيان فى العالم الغربى خلال القرن العاشر ازداد الاهتمام بدراسة القانون مما شكل أحد مظاهر إعادة ترسيم الحدود بين الغرب والشرق، وأصبح القانون الرومانى أساسا لكل مفاهيم القوانين والأنظمة فى مناطق حكم الفرنجة والكنيسة الكاثوليكية وتأثير ذلك يبدو واضحا حتى الوقت الحاضر وتم تشكيل مفاهيم الحقوق المدنية والتساوى بين الأفراد والمساواة بين الجنسين، والديمقراطية واعتبارها أساس للقوانين فى العالم الغربى.

ولم يتأثر الغرب فى نشر المسيحية وبفضل الحضارة الإسلامية التى حفظت جزء كبير من الثقافات القديمة لمناطق الشرق الأوسط، الهند، الأندلس، فارس، روما وحضارة الإغريق والتى اقتبست منها خلال الحملات الصليبية على بلاد الشام وتم ترجمة الأعمال الأدبية العربية إلى اللغة اللاتينية خلال العصور الوسطى وكذلك العلوم ورأسها الرياضيات والفلك، وبعد فتح القسطنطينية وسقوط الإمبراطورية البيزنطية من قبل الأتراك العثمانيين تمت هجرة العديد من المسيحين اليونان إلى مدن وممالك مثل البندقية حاملين معهم العديد من آثار الثقافة البيزنطية وتعلموا اللغة والأدب والعلوم اليونانية وكان تأثير الثقافتين العربية واليونانية أساسا من أسس بدء عصر النهضة وخلال فترة القرن الخامس عشر والسابع عشر تم انتشار الثقافة الغربية فى كل أرجاء العالم وذلك خلال فترة عصر الاستكشاف وبعدها تأثير الإمبريالية (Imperial – الملكية) فى فترة القرنين الثامن عشر والعشرين.

فلسفة القرون الوسطى

فلسفة العصور الوسطى هى الفلسفة التى كانت فى أوربا فى حقبة ما يُعرف الآن باسم القرون الوسطى أو العصور الوسطى، فى الفترة الممتدة تقريبا من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية فى القرن الخامس الميلادى حتى عصر النهضة فى القرن السادس عشر، وقد تشكلت تلك الفلسفة جزئيا من عملية إعادة اكتشاف ثقافة عريقة فى اليونان ومنها إلى روما فى الفترة الكلاسيكية وبسبب الحاجة إلى معالجة المشاكل اللاهوتية والعقيدة المقدسة لدمج التعلم مع العلمانية، وينقسم تاريخ الفلسفة فى القرون الوسطى إلى فترتين رئيسيتين:

- فترة فى الغرب اللاتينى التالية للعصور الوسطى المبكرة وحتى القرن الثانى عشر حيث تم الحفاظ على أعمال أرسطو وأفلاطون.
- وفترة «العصر الذهبى» القرن الثانى عشر ثم القرنين الثالث عشر والرابع عشر فى الغرب اللاتينى الذى شهد ذروة انتعاش الفلسفة القديمة والتطورات الكبيرة فى مجال الفلسفة والمنطق والدين والميتافيزيقا، وتلك الفترة هى فترة العصور الذهبية بالنسبة للمسلمين والعصور المظلمة كما يسميها الغرب بالنسبة لهم وهى عصور القرون الوسطى.

فلسفة النهضة

فى تلك الفترة فلاسفة أوائلِ مِنْ المفكّرين المسيحيينِ أرادوا فَهْم طبيعةِ القانونِ وعلاقتِه بالكنيسةِ ومن هؤلاء أرينيوس، ليون، تيرتوليان، أوريجن أمبروز. وكان لأوغسطين التأثيرُ الأكبر حيث كَتبَ العديد مِنْ النصوص.

فى القرن الثالث عشرِ كَانتْ أعمال أرسطو قَدْ أَصْبَحتْ مؤثرَة مرةً أخرى وكَانَ توماس الأكوينى من مؤسسى الفكرِ الأرسطوطاليسىَ وكتب فى الميتافيزيقا الأرسطوطاليسيةِ وفلسفة طبيعةَ الوجود والله التى تُعرّفُ نفسه كخالقِ كُلّ الكائنات.

فلسفة عصر التنوير

عصر التنوير ويسمى عصر الأنوار (بالفرنسية: Siècle des Lumières) مصطلح يشير إلى القرن الثامن عشر فى الفلسفة الأوربية والذى ظهر فيه مفكرون وفلاسفة الأنوار. المصطلح يشير إلى نشوء حركة ثقافية تاريخية سُميت بالتنوير وقامت بالدفاع عن العقلانية ومبادئها كوسائل لتأسيس النظام الشرعى للأخلاق والمعرفة بدلا من الدين، ومن هنا فإن ذلك

العصـر هو بداية ظهور الأفكار المتعلقة بتطبيـق العلمانية ورواد هذه الحركة كانوا يعتبرون مهمتهـم قيادة العالم إلى التطور والتحديث وترك التقاليد الدينية والثقافية القديمة والأفكار اللاعقلانية ضمن فترة زمنية دعوها «بالعصور المظلمة» (القرون الوسطى).

ولكـن ما هو عصـر التنوير؟! أجاب إيمانويل بقوله: «إنه خروج الإنسـان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج أو سن الرشد» كما عرّف القصور العقلى على أنه «التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصى أو السلوك فى الحياة أو اتخاذ أى قرار بدون استشارة الشخص الوصى علينا».

ومـن هذا المنظـور جاءت صرخته التنويرية لتقول: «أعملوا عقولكم أيها البشـر! لتكن لكم الجرأة على اسـتخدام عقولكم! فلا تتواكلوا بعد اليوم ولا تستسـلموا للكسـل والمقدور والمكتوب تحركوا وانشـطوا وانخرطوا فى الحياة بشـكل إيجابى متبصر فالله زودكم بعقول وينبغى أن تستخدموها».

لكن كانط لم يفهم التنوير نقيضا للإيمان أو للاعتقاد الدينى وإنما شدد على أن «حدود العقـل تبتدئ عند حدود الإيمان» كما حذر مـن الطاعة العمياء للقادة أو لرجال الدين كما حدث فى دولة بروسيا لاحقا.

وفى نهاية القرن الخامس عشـر ظهرت تغييرات جذرية وبدأت تظهر فى الأدب وهى عبـارة عن اتجاهـاتٌ تطالب بالانغماس فى مباهج الحياة كما ظهرت تغييرات جديدة فى الوسائل والأسلوب أدت إلى ظهور الروح الخلاقة فى الفن الفرنسى الذى وُلد فى فترة تكوُّن الحكومات المطلقة فى أوربا وتاليا فى فترة تركيز الحكم المطلق فى فرنسا نفسها.

عصر التنوير والثورات

كان عصـر التنويـر وما أنتجه مـن أفكار وضعيـة وعقلانية ملهما لعدد مـن الثورات الاجتماعية والسياسـية شـهدتها أوربا فى القرنين الثامن عشـر والتاسع عشر أسفرت عن قيام الدولة الحديثة وقد ارتكز قيام هذه الدولة على أنظمة سياسية بديلة من أنظمة القرون الوسـطى حيث قامت هـذه الأنظمة بانتزاع الصفة الإلهية عن سـلطة الملوك فاصلة الدين عن الدولة.

وشـكلت هذه الحركة أساسـا وإطارا للثورة الفرنسية ومن ثم للثورة الأمريكية وحركات التحرر فى أمريكا اللاتينية واتفاقية ٣ مايو فى كومونولث (بولونى – ليثوانى) ، كما مهدت

هذه الحركة بالتالى لنشـوء الرأسمالية ومن ثم ظهور الاشـتراكية كما شـهدت بروز حركة توحيد العلوم التى تضمنت الإيجابية المنطقية.

ومن أعلام التنوير الفلاسـفة والمفكرين فولتير وجان جاك روسـو وديفيد هيوم وجميعهم قاموا بمهاجمة مؤسسـات الكنيسة والدولة القائمة، وشـهد القرن الثامن عشر صعود نجم الأفكار الفلسفية التجريبية وتطبيقها على الاقتصاد السياسى والعلوم والحكومات كما كانت تطبق فى الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء.

ومن أهم أعلام التنوير فى بريطانيا فرانسـيس بيكون المحامى الإنجليزى الذى طالب بالاعتماد على منهج علمى جديد يقوم على أساس من التجربة، وبشّر بيكون بحالة جديدة تتحقق فى المسـتقبل عندما تصبح المعرفة مصدر القوة التى تمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة، كذلك إسـحاق نيوتن عالم الرياضيات والفيزياء الذى قال بأن العالم يسير حسب مجموعة من القواعد الطبيعية تحكمها قوى وعوامل الجاذبية، وأكد نيوتن أن فى استطاعة الإنسان إذا اعتمد على نور العقل تفسير الظواهر الطبيعية وإدراك دوره فى العالم المجهول.

الفلسفة الغربية[٢٧] الحديثة

فـى بداية العصور الحديثة بدأ الصراع بين الغرب والشـرق يضعـف، وبدأ الأوربيون بالتواصل مع شـعوب العالم الأخرى والمفهوم القديم للعالم الغربى تغير حتى وصل لوضعه الحالى وبدأ عصر الاستكشاف، وفى القرنين السادس والسابع عشر سار الأوربيون إلى عصر التنوير وذلك حتى أواخر القرن الثامن عشـر وقد تميز هذا العصر بتطور قدرات الأوربيين العسـكرية وصناعة الأسـلحة وجعل هذا التطور العالم الغربى موطنا للعلوم وقيام الثورات الصناعية والتقنية وانتشرت أنظمة السياسة الغربية حول العالم.

وفى بداية القرن التاسع عشر بدأ ما يسمى بـ «عصر الثورات» (Age of Revolution) وظهور الإمبراطوريات العالمية والتقدم التقنى والعلمى الهائل وما صاحب ذلك من سـيطرة اسـتعمارية ومـا صاحبها من صراعات دموية فى شـتى بقـاع الأرض والتى امتدت حتى القرن العشرين.

وباكتشاف أوربا للعالم كله تغيرت بعض المعالم الجغرافية فبعد أن كان العالم الإسلامى معروفا بكونه يمثل «الشـرق» أصبح يُعرف بمصطلح «الشـرق الأدنى» وذلك بعد اكتشـاف

الأوربيين مناطق مثل الصين فى فترة حكمها من قبل سلالة تشينغ واليابان المحكومة من قبل حكومتها المستنيرة خلال القرن التاسع عشر.

وخلال فترة الحرب اليابانية الصينية الأولى بين عامى (١٨٩٤م – ١٨٩٥م) تم تحديد مصطلح «الشرق الأقصى»، وبسقوط الإمبراطورية العثمانية فى تلك الفترة حُدد معنى «الشرق الأدنى»، ومصطلح «الشرق الأوسط» استعمل أواسط القرن التاسع عشر شاملا مناطق نفوذ الإمبراطورية العثمانية السابقة ومناطق مثل غرب الصين وشبه القارة الهندية وفارس العظمى لكن فى الوقت الحاضر يماثل مصطلح «الشرق الأدنى».

بعد زوال الإمبراطوريات الغربية السابقة كانت الديمقراطية وحرية التعبير أحد مميزات الحضارة الغربية الحالية والتى تميزهم عن جيرانهم الشرقيين، وتطورت فكرة فصل الدين عن الدولة أواخر العصور الوسطى وفى بدايات العصور الحديثة مما مكن من عملية فصل سلطات الدولة بعضها عن بعض الأمر الذى جعل الديمقراطية بمفهومها الغربى مختلفة عن باقى الديمقراطيات بشكل عام.

ويقوم المجتمع الغربى بتشجيع الأفراد على الابتكار والإبداع والتعبير عن آرائهم بحرية مما أدى إلى تطور العلوم والفنون والثقافة وكذلك تشجيع الرأسمالية وذلك فى كل الدول الغربية تقريبا، وتبنت الحكومات الغربية نموذج المجتمع الاقتصادى الحر والرأسمالى وتعدد الأحزاب السياسية.

وقد أثرت معظم العناصر المكونة للثقافة الغربية فى ثقافات العالم أجمع وتحت تأثير الثقافات الغربية قامت شعوب العالم الغربية وغير الغربية بإرفاق مصطلح «الحداثة» (modernization) أى تبنى التطور العلمى والتقنى ومصطلح «التغريب» (westernization) أى تبنى الثقافة الغربية.

ومن الخصائص الثقافية والفنية التى ميزت الحضارة الغربية من حيث الشكل والأصل الرقص، الموسيقى، الفنون، البصرية، القصص، الروايات، فن العمارة، العلوم الإنسانية، وكلها قد تم التعبير عنها بطرق مميزة لهذه الحضارة.

وتطور فن العمارة فى الغرب حيث طُور الفن الإغريقى والرومانى من حيث استعمال الأعمدة والمداخل القديمة فى العمارة الحديثة، وطُور الفن الرومانسكى والقوطى والباروكى والفيكتورى وظل مستعملا حتى الوقت الحالى.

أصل الفلسفة الغربية الحديثة

نشأت المسيحية من جذور مشتركة مع اليهودية وتعرضت للاضطهاد من قبل الإمبراطورية الرومانية، لكنها أصبحت فى عام (٣٨٠م) الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية فشاركت بشكل معقد فى السياسة الأوربية ولا يزال تأثيرها السياسى راسخ حتى اليوم فى العالم الغربى.

وكانت تعاليم يسوع (المسيح) والوصايا العشرة مصدرا للقوانين الغربية وذات تأثير أخلاقى فى الفكر والفلسفة الغربية وشكّلت تلك التعاليم والكتاب المقدس حجر أساس للحضارة والفلسفة الغربية ومنها تلك الفلسفة لمفاهيم عدة مثل حقوق الإنسان ورفض الطلاق وسفاح المحارم.

كما أثرت المسيحية فى العديد من جوانب المجتمع مثل التعليم والفنون واللغة والحياة السياسية والقانون والأسرة والموسيقى وطريقة التفكير الغربية وكل ذلك مما يقارب ألفى سنة من تاريخ العالم الغربى وقد تم تأسيس العديد من الجامعات فى العالم من قبل الكنيسة والرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية، وكذلك كان للمسيحية دور رائد فى رعاية وتطوير العلوم ولها تأثير واضح فى العمارة فقد أنتجت الكاتدرائيات التى لا تزال قائمة بين مآثر وروائع الهندسة المعمارية الأكثر شهرة فى الحضارة الغربية.

وفى العصر الحديث تراجعت الديانات فى أوربا الغربية وظهرت حركات اللاأدرية الإلحاد حيث تقريبا (١٨,٢٪) من سكان الدول الغربية لا يتبعوا ديانة واتبعوا تلك الحركات فشكلوا نسب من سكان دول المملكة المتحدة (٢٥٪) ألمانيا (٢٥-٣٣٪)، فرنسا (٢٢ - ٣٥٪)، وهولندا (٣٩ - ٤٤٪) فى حين أن فى الولايات المتحدة حافظت الديانة على وجودها القوى فشكل المتدينون نسبة (٧٥ - ٨٥٪) من سكان البلاد كما هو الحال فى معظم دول أمريكا اللاتينية ومع ذلك فلا تزال الديانة المسيحية هى الديانة السائدة فى العالم الغربى ولا يزال غالبية الأوربيين يُعرفون أنفسهم أنهم مسيحيون حيث يشكل معتنقى الديانة المسيحية فى أوربا حوالى (٧٥,١٨٪) وفى أمريكا الشمالية (٨٥٪) وفى أمريكا الجنوبية (٩٣٪).

والسمة المميزة للثقافة الغربية التركيز على العلوم والتكنولوجيا وقد تم التقدم فى مختلف العلوم وأهمها علم التفاضل (لمحة عن أثره لاحقا فى مبحث الرياضيات والذكاء) [٢٨] وعلوم

الميكانيكا وميكانيكا الكم والنظرية النسبية والديناميكا الحرارية والميكانيكا الإحصائية والاكتشافات والاختراعات فى الكهرومغناطيسية وتشمل قانون كولوم (١٧٨٥م) البطارية الأولى (١٨٠٠م)، وحدة الكهرباء والمغناطيسية (١٨٢٠م)، قانون أوم (١٨٢٧م)، ومعادلات ماكسويل (١٨٧١م) وتم كشف النقاب عن: الذرة، النواة، الإليكترون، وكل تلك العلوم من قبل الغربيين.

كان الغرب أول من اكتشف قوة البخار وقام بتطويرها وتكييفها واستخدامها فى المصانع وتوليد الطاقة الكهربائية واختراع المحرك الكهربائى الدينامو والمحولات والضوء الكهربائى ومعظم الأجهزة الكهربائية المألوفة، وكان المحرك الرباعى الأشواط ومحرك ديزل من المنتجات التى نشأت وتطورت فى وقت مبكر فى العالم الغربى.

وتستمد المفاعلات النووية تاريخها وعملها من المفعل النووى الأول الذى شُيد فى شيكاغو فى عام ١٩٤٢م.

وتم ابتكار العديد من المواد عن طريق الغربيين مثل الألمنيوم، الخرسانة، الزجاج، المطاط الصناعى، الماس الصناعى، البولى بروبيلين، ومعظم عناصر الكيمياء والعديد من المواد بالغة التعقيد والتركيب وكذلك تشييد الجسور وناطحات السحاب والقاطرة والدراجات والسيارات والطائرات والنظارات والتليسكوب والكمبيوتر والمجهر الإلكترونى وأنواع التسلسل اللونى والبروتين والحمض النووى ومختلف أنواع الأشعة والتصوير المقطعى والرنين المغناطيسى وكلها تم تطبيقها فى المختبرات والمستشفيات والمصانع الغربيّة.

وتم اختراع جميع أجهزة الاتصالات وأنظمتها الهاتف والإذاعة والتليفزيون، والهاتف المحمول وشبكة الإنترنت كل ذلك من قبل الغربيين ومن قبل وسائل الملاحة البحرية الحديثة بالإضافة إلى اكتشافات مثل: القلم الرصاص، آلة تصوير مستندات، طابعة الليزر والبلازما، وشبكة الويب العالمية.

وتم للغربيين استكشافاتهم من الكرة الأرضية فهم أول من أبحر حول الأرض (١٥٢٢م) وكذلك أول من تطأ قدماه القطب الجنوبى (١٩١١م) أول إنسان يهبط على سطح القمر (١٩٦٩م) وما تلا ذلك من أبحاث الفضاء.

وهذه هى الفلسفة الحديثة للغرب المتقدم الذى عرف الطريق من خلال لغة فلسفة العلم والمنهجية المتعلقة به، تلك اللغة التى تترجمها لغة البحث العلمى والتجريب المعملى فوصلت تلك الفلسفة بالغرب إلى الفضاء واقعا وليس وهما وخداعا كلغة الفلسفة الكلامية.

نتاج الفلسفة الحديثة

● **الفلسفة الحديثة:**

التحليل العلمى يقرر حاليا فى أمريكا الشمالية والمملكة المتحدة الفلسفة على أنها تقنية بحتة ترتكز على المنطق والتحليل المنهجى ومواضيع اهتمامها: نظرية المعرفة وطبيعة اللغة وطبيعة العقل والاتجاهات الإيجابية لدراسة الفن.

وبهـذا تصبح الفلسـفة حاليا فى الغـرب المتقدم مهتمة بتحديد طريقـة الحياة المثالية وليسـت محاولة لفهم الحياة من جوانب القيـم الأخلاقية والعقائدية، وفى إطار عام لتلك الفلسفة هى أساس المعرفة والمنهج التجريبى.

● **خلاصة الناتج الفلسفى:**

وبما أن أصبحت الفلسـفة الغربية هى الفلسـفة العلمية التجريبية فهذا يعنى أن تلك الفلسـفة قامت على سـقف بنيان عريق من الفلسفة التى كانت جوانبها هى: أصل الكون وجوهره الخالق (الصانع) وعلاقته بالمخلوق صفات الخالق (الصانع) ولماذا وُجد الإنسـان؟ والعقـل وأسـس التفكير السـليم والإرادة الحرّة ووجودها والبحث فـى الهدف من الحياة وكيفية العيش السليم.

ثم ظهرت القضايا والتخصصات الفلسفية كفروع للفلسفة ومنها:

ما وراء الطبيعة:

(الميتافيزيقا) علم يدرس الواقع والوجود من حيث طبيعتهما الأساسية.

المنطق:

يتنـاول مبـادئ وطرق المحاكمة العقلية ويسـمى علم القياس فهو يستكشـف كيفيات التمييز بين المحاكمة القويمة والمحاكمة السـقيمة، ويُسـمّى المثال المستخدم فى المحاكمة البرهان أو الاسـتدلال، يتمثل البرهان فى جملة من الحجج تسـمى مقدمات وهذه تقترن بحجة أخرى تسمى النتائج التى من المفروض أن تستند إلى المقدمات أو تنتج عنها والبرهان القوى يكون سندا للنتائج بعكس البرهان الضعيف.

● **نظرية المعرفة:** هدفها تحديد طبيعة المعرفة وأساسـها ومجالها على هذا تُدرس فى نظرية المعرفة المسائل: مصدر المعرفة، قيمة المعرفة، طبيعة المعرفة، وحدود المعرفة.

● **القيم:** سيرة الإنسان وشخصيته وقيمه فهى تدرس طبيعة الصواب والخطأ وتميّز بين

الخـــير والشـــر وما إذا كان عمل من الأعمال أو مبدأ مـــن المبادئ صائبا أو خاطئا من الناحية الأخلاقية.

- **الجمـــال:** يبحث فى الإبداع وكذا فى المبادئ التى يقوم عليها الفن والجمال كما أنه يدرس أفكارنا ومشاعرنا ومواقفنا حينما نرى ونسمع ونطالع شيئا جميلا أو العكس.
- **فلســفة الديــن:** علم يهتم بدراســة وتحليل طبيعة المعرفة الدينيــة وما تنطوى عليه المعتقدات.
- **فلسفة العلم:** فلسفة تُعنى بفهم وتفسير ظاهرة العلم فهما يعمقها فتبحث فى التنظيم الأمثل لمناهجه ومعرفة خصائصه ومقوماته ومحاولة حل مشكلاته...

وهناك مســائل أخرى تناولتها الفلسفة منها: فلســفة القانون وفلسفة التاريخ وفلسفة التربية وغيرها.

❑❑❑

obeikandl.com